

١٠٩٥



دار م. القحطاني

كبيرة

1095



HARLEQUIN

سائق الشاحنة الطيب

غيتا كينغرلي



WWW.LIILAS.COM

(لقد حان الوقت الذي يجعلك تهتمين بنفسك)

كان صوت ماتيو بالغ الرقة وهو يتحدث إلى مارغريت: «ان بإمكان تيمي رعاية نفسه، وبإمكانه ان يقرر لنفسه الأصلح.»

قالت شائرة: «انني لم احضر إلى هنا لتلقي محاضرة في ما يجب أن تكون عليه طريقة حياتي.»

«لا تجعلني من تيمي عذراً لتجنبني الحياة، يا مارغريت، ان في الحياة أكثر من مجرد مراقبة شقيقك.»

فقالت بصوت منخفض: «انني اعلم تماماً ما وراء هذا كله، فأنت لا تصدق رفضي الانضمام إلى نادي المعجبين بماثيو ماغنوم، حسناً، دعني اخبرك يا سيد ماغنوم، انه مهما طالّت مدة وجودك في البلدة، فإن موقفك منك لن يتغير.»

غيتا كينغزلي

غيتا كينغزلي معلمة سابقة في مدرسة ابتدائية، تَعْشَقُ الأسفار والموسيقى واشغال الإبرة والعناية بالحدائق، نشأت في أسرة كبيرة، لا تشعر بالوحدة مطلقاً ما دام لديها كتب تقرأها، وهي تعيش الآن في جنوب كاليفورنيا مع زوجها ولدين مراهقين. أول رواية لها كانت ايمان وأمل وحب، وقد نالت الجائزة في مسابقة، (مؤلفو الروايات العاطفية الأميركيون).

تثق ريتا بانتصار الروح الانسانية مع اهتمامها بالبيئة، وهذا يتجسّد في صفاتها وقصصها.

الفصل الأول

حدّقت مارغريث براونينغ طويلاً إلى تلك الأحرف الزرقاء المكتوبة على اللوحة البيضاء، شاعرة بأن أسوأ كوابيسها قد تحقّق. (شحن بدوين).

وأعلى منها كانت لوحة أخرى تقوم على عمود عالٍ يجعلها مرئية من كل شخص من مختلف الاتجاهات ومكتوباً عليها، (موقف الشاحنات).

أغمضت مارغريث عينيها متمنية لو يتلاشى كل هذا، وعندما عادت ففتحتهما بعد ثانية وجدت كل شيء مازال في مكانه، حولت نظرتها إلى ذلك المبنى الضخم المشيد من القرميد والزجاج والذي احتل مكان كاراج سيمي القديم المتداعي، كان (موقف الشاحنات) العصري البناء هذا يبدو في غير مكانه في منطقة إنشواتر، كاليفورنيا، هذه حيث صفة الجديد كانت تطلق على الأشياء التي عمرها عشر سنوات، وعلى كل بناء له ناحية من معدن الألمنيوم القوي.

«لماذا هنا؟» ولم تنتبه إلى أنها تلفظت بهذه الكلمات بصوت عالٍ.

فأجاب مرافقها في السيارة: «ولماذا لا؟ لقد قال ماغنوم انه يريد التوسع، والأرض في لوس انجلس مرتفعة الثمن، هذا إلى انه يريد مكاناً يقع بين لاس فيغاس ولوس انجلس، على الطرق التي اعتاد السائقون التردد عليها

بكثرة، وهكذا اختار إنشواتر تلك الأسباب كلها، هذا بالإضافة إلى عدم اعتراض أحد على وجودها هنا.»
لا أحد ما عداها هي، وهي لم تكن هنا لكي تصوت محتجة، فقد كانت فكرة أن شقيقها يتعامل مع موقف الشاحنات هذا، هذه الفكرة قد أفزعته.

تساءلت قائلة: «لا أدري ما الذي يفعله تيمي هنا.»
ثم التفتت إلى جو غريتر، كان هذا زميلها في المدرسة الثانوية وقد أحضرها من أقرب مطار إلى إنشواتر والتي تبعد أكثر من سبعين ميلاً، وإن كان مشغولاً بتشغيل راديو السيارة، لم يبد عليه أنه سمع سؤالها، وإذا كانت متلهفة لرؤية شقيقها، ظلت من جو أن يتوقف عند محل دانز دوناتز قبل التوجه إلى المطعم، فقد كان تيمي يعمل في محل دانز هذا منذ شهر كانون الأول (ديسمبر)، وقد تملكها الدهشة عندما أخبرها دانز بأنها ستجد شقيقها في موقف الشاحنات.

حسنًا أنها هنا الآن، ولكنها لا ترى أثرًا لتيمي، وهذا يعني أن عليها أن تدخل الموقف لتسال عنه.

ابتسمت قائلة: «أشكرك لتوصيلي يا جو.»
فسالها: «هل انت واثقة من أنك لا تريدني أن انتظرك لأوصلك إلى منزلك.»

«كلا، فأنا بحاجة إلى أن أتمشي.»
وعندما ترجلت من السيارة، قال لها جو: «إلى اللقاء إذن سأنزّل حقائبك عند جانيت.»
أجابته: «إلى اللقاء، وأكرر لك شكري لاستقبالتي في المطار.»

«إلى اللقاء يا مارغريت.» ما إن ابتعدت السيارة، حتى

تنفست مارغريت بعمق، ثم استدارت نحو موقف الشاحنات. لقد ذكرها وجودها هنا بوالدها وعمله الذي كان يقوم به، ذلك أن قيادته للشاحنة كانت هي التي قتلت والدتها معاً، اختطفتهما منها ومن شقيقها تيمي.

بالنسبة لمواقف الشاحنات، كان هذا الموقف هو أحسن ما رآته منها في حياتها، فالعائلة قدم من التراب التي كانت تقصّل كاراتج سيمي عن الطريق الرئيسي، قدمه الآن ورصف بالأسفلت المصلب، وكانت الشاحنات تحيط بها من كل جانب ومن كل الأنواع والأحجام، وقد كنت بانتظام، وكان معظمها قاتلون أزرق وفضي، وكانت مضخات الديزل مصطفة إلى جانب من الساحة، وعلى بعد خمسين ياردة من المدخل، كان يقوم المكتب والذي كانت جدرانها الأربعة من الزجاج، وفي المؤخرة كان يقوم المبنى القرميدي الضخم الذي لاحظته في الحاية والذي كان كاراتج لتصليح الشاحنات.

توجهت مارغريت نحو المكتب، ربما ستجد فيه من يحضرها عن مكان شقيقها.

اكتسحتها، وهي تنتظر حولها، أحاسيس جمّة جعلتها تتوقف عن السير وهي تتنفس بعمق، فقد كان للجو هنا تأثير غريب عليها، نداءات السائقين، هدير المحركات، روائح الديزل والزيوت، النساء والرجال الذين يتحركون هنا وهناك، كل ذلك أيقظ في نفسها ذكريات كانت حارّة على طعنها في الأعماق منها.

يا...!

كانت هذه صرخة تفجّع من صغيرة سلبها الموت حب الحياة.

ورفعت مارغريت يدها إلى قمها تود صرخة وصورة أخرى تتمثل أمامها.

(انظر، يا بابا، باستطاعتي أن أسوق شاحنتك.)

كانت هذه إحدى أقدم نكرياتها، كانت فيها تجلس في حضن والدها والذي سمح لها بأن تغير عجلة القيادة، كانت الرائحة هي نفسها، الديزل والزيوت، ثم أصبحت لا تطاق بعد أن امتزجت برائحة عطر والدتها، لقد وضع والدها، عند ذلك قبلة على قمة رأسها وهو يقول: «لنك سائقة شاحنة قديرة يا حبيبتي.»

واستدار رجل ضخم قوي البنية إلى حيث أخذ يلوح بيده إلى شخص ما في الساحة، وقفزت صورة أخرى إلى ذهنها، لقد اعتاد والدها يوماً أن يستدير ليُلوح بيده لشخص ما، كما يفعل هذا الرجل الآن، وذلك قبل أن يصعد إلى شاحنته.

«كوفي فتاة مقلعة لعمتك جانيت، يا مارغريت، وستحضر اليك عندما نعود مفاجأة حلوة.»

وصعد الآن زوجان إلى شاحنتهما الجاهزة، وكانا بالشسية إلى خيال مارغريت المعذب، والديها نفسيهما على وشك القيام برحلة أخرى، (ماسا، بابا، لا تذهبا.)

شعرت بأن عليها أن تصنعهما، فقد كانت هذه آخر رحلة لهما، كانت الرحلة التي لم يعد والدها منها.

أخذ ماثيو يراقب من خلال جدار المكتب الزجاجي، توجه المرأة تلك نحوه، كان شعرها الأحمر المتألق يجعلها تبدو كمشعل في رأسه نار، أما قوامها فكان رشيقاً، وكانت ترتدي بذلة أنيقة وحذاء عالي الكعب.

ضاعت عيناه إذ اقتربت فلاحظ ما بدا على وجهها من

رعب وهي ترفع يدها إلى قمها، ما الذي حدث؟ وقفز بشكل سريع نحو الباب وهو يراها تنزل عن الرصيف إلى وسط الساحة.

«انتبهي.» ووصلت هذه الصرخة إلى انفي مارغريت في نفس اللحظة التي شعرت فيها بنفسها ترتفع في الجو ثم تنزل على الأرض، وأعادها هدير الشاحنة إلى الحاضر، مرسلًا في كيائها الارتجاج والبرودة.

«هل تحاولين قتل نفسك؟»

كانت يدان كبيرتان تحيطان بخصرها، بينما كان هو ينتظر منها الجواب. ثقتت وهي تطوف بجفنيها بسرعة، واقعةً رأسها لتتنظر إلى الشخص الذي أمسك بها، ولم تسبح لها أشعة الشمس التي أمامها أن ترى منه شيئاً سوى أنه كان كبير الجسم للغاية.

كان قد رفع يديه عن خصرها فاستدارت ببطة لترى عينين تنظران إليها بعداء ظاهر.

ورغم تشوش ذهنها، لاحظت جمال تلك العينين واللتين كانتا بخمرة الغابة، ولكنه كان أيضاً رجلاً بالغ الغضب.

وقالت ببرودة: «ما سيب هذا كله؟»

«تسأليني؟» كانت أسأريوه تبدو صارمة. وتسمرت عرتها على الشق العميق في ثقبه، وبدا في غضبه هذا قوياً سيطراً خطراً.

«في لحظة كنت تتهادين سائرة على الرصيف، وإذا بك في اللحظة التالية تنزلين عنه مباشرة إلى الطريق المنعكس لسير الشاحنات.»

تردت عليه بحدة وقد ثار غضبها لطريقته في الكلام: «إن

لدى السائقين مرايا ضخمة بحيث يرون فيها الحشرة المارة في طريقهم.

«الطبيب النفسي فقط هو الذي بإمكانه التكهن بأنك ستزولين عن الرصيف بهذا الشكل المفاجيء، وكذلك تسيرين في نومك. ما الذي تفعلينه هنا، على كل حال؟ إذا كنت تجمعين تبرعات لمؤسسة خيرية، فأعطني معروفاً في العرة التالية بأن تكتسي إلينا بذلك. إنفقنا؟»
 فقالت بلهجة متوترة: «ليس بك حاجة إلى أن تكون فقط بهذا الشكل.»

«بل هناك إذاً ^{١٢} تخفرك في مشيتك هذا يمكن أن يوقعنا، نحن وإياك في الخطر، إن اسمي هو ^{١٣} ماغنوم، قبل بإمكانني أن أساعدك بأي شكل؟»

قرطبت مارغريت شفتيها الجافتين، ذلك أن جو كان قد نكر هذا الاسم، ونظرت إلى صاحب شحن بدوين وحاولت أن تبدو هادئة متحكمة بعشاعرها، وعندما أخذ يشملها بنظراته من رأسها إلى أخمص قدميها، تبدد ذلك الهدوء والتحكم بالعشاعر، وبدت كالضائعة.

عادت نظرات ماغنوم تستقر على رجليها، بينما أجابت هي قائلة: «أنتي أبحث عن شقيقي تيمي براوننغ، فهل هو هنا؟»

ضاعت عينا ماتيو ماغنوم، وعاد ينظر إليها مرة أخرى وكأنه يراها لأول مرة، ثم أوما يحدث نفسه: مع أن الشعر الأحمر والعلامح هي ذاتها إلا أن الغم مختلف الشكل. كان كلامه صحيحاً، ذلك أن أكثر الناس كانوا يقولون مثل هذا الكلام، حتى كانها وشقيقها توأمان.

«إذن فأنت ابنة الشقيق المسرفة التي كنت أسع عنها؟»
 ففتحت مارغريت فمها ذاهلة: «ابنة الشقيق المسرفة؟»
 «هل أنت قادمة من واشنطن لقضاء الصيف؟»
 فأومأت بالإيجاب، ولم يبد عليه أي استحسان لها أو لعلها في واشنطن، تساءلت مارغريت وقد تشوش ذهنها، عما يجعل من حرفة التعليم مثاراً للعداء.
 «لقد حان وقت عودتك إلى بيتك.»
 فسألته: «لماذا؟»

أجاب وقد ضاقت عيناه: «لماذا؟ أخرجني رأسك من حيث لغنته في الرمال، ثرين لماذا، لأن عمك مرهقة بما لديها من إدارة المطعم والعناية بشقيقك، بينما أنت تعيشين حياتك حسب مزاجك.» وقيل أن تتمكن من التلغظ بكلمة، كان هو قد ابتعد عنها وهو ينادي: «تيمي.»

جعلها الأصوات المرتفع تجفل، ثم أخذت تحدق لحظة في ظهره العريض، أنها لم تعد تستطيع العيش حسب مزاجها براتبها هذا، ثم لماذا يلجأ إلى أنها نعمة تدفن رأسها في الرمال، غافلة عما كان يحدث حولها؟ انه فعلاً أكثر الرجال الذين عرفتهم خشونة واستقرازا للأخرين.

وسرعان ما تحول انتباه مارغريت إلى شقيقها وهو يظهر من إحدى الكراجات الواسعة في المؤخرة.
 استسمت مارغريت وشقيقها يرد على ماتيو قائلاً: «نعم، يا ماتيو؟»

فاشار ماتيو ماغنوم بإبهامه نحو مارغريت. خف شعور مارغريت بالسرور وهي ترى ردة الفعل لدى شقيقها اقرب إلى الصدمة لوجودها متبها إلى الدهشة.

وصاح به ماتيو من فوق كتفه وهو يدخل مكتبه: «خذ خمس دقائق».

«مرحباً يا تيمي» لكن ذراعي مارغاريت الممتدتين إليه سرعان ما هبطتا إلى جانبيها وهي تدرك أن ليس في ثية تيمي أن يدعها تعانقه، وتابعت تقول: «كيف حالك؟»

أجاب وهو يدس يديه في جيبه: «أنني بخير، يا أختاه، هل كان سفرك مريحاً؟»

فأرمأت بالإيجاب، ثم سألته: «ما الذي كان يعنيه بقوله (خذ خمس دقائق)؟»

فأجاب: «هذا لأنني أعمل هنا».

ودارت الدنيا حولها وهي ترى أن آخر أمل لها في أن تيمي لا يعمل هنا، قد تبدد.

وقالت: «كنت أظنك تعمل عند داتز دوناتز؟»

فحول نظراته بعيداً: «كنت كذلك إلى أن وجدت هذا العمل، أنني أفضل العمل في الشاحنات».

«فهمت».

صحيح أن الاتصال الوحيد بينهما في الشهر الماضي كان مجرد مخابرات هاتفية مختصرة، ولكن كان بإمكان

تيمي أن يخبرها بعمله الجديد هذا.

هذا إذا كان قد أراد ذلك حقاً.

في صف علم النفس أثناء دراستها في الجامعة تعلمت مارغريت أن لا تظهر انزعاجاً بالغاً إزاء الأمور التي لم تكن تحبها، ذلك أن ردود الفعل الغاضبة تنتج السلبية عند الشخص الآخر ما يتخذ معه موقف الدفاع، وتنفست بعمق: «لقد توقفت عند محل داتز أسأله عنك فأخبرني أنني سأجدهم هنا».

فبقي صامتاً محولاً نظراته عنها.

تسلحت «مارغريت باللفظ والصبر وهي تسأله: «متى

يتمهي عملك اليوم؟»

«في الخامسة».

«هل أتى اليك لقد ذهب معاً إلى السينما في غاريسن؟»

«ربما في وقت آخر، حيث أنني سأخرج بعد العمل مع نيجي».

أين تيمي الأمس الذي كان يبتسم عندما يأتي على ذكر

صديقته، بينما في اليوم يرفض تبادل النظرات معها الآن.

فقالت: «هذا عظيم» بينما كان شعورها الداخلي

بالفراغ يزداد. لم يسبق أن كان تيمي بعيداً بمشاعره عنها

من قبل.

حدثت نفسها بأن كل ما حدث في نصف الساعة الأخيرة

بها لها وكأنه أكبر كثيراً من حجمه لا شيء إلا لأنها هي

سببه. ذلك الرجل، سلوك تيمي نحوها، شعورها هذا

بالخيق وعدم الارتياح... قال لها تيمي بارتباك: «سأراك

غداً بعد، يا أختاه إذ علي أن أعود إلى العمل».

«غداً بعد».

غادرت موقف الشاحنات، وعندما وصلت إلى الشارع

الرئيسي، اتجهت شمالاً، كانت انشواثر تبعد مائتي ميل عن

رئيس أنجلس، وهي أكثر قليلاً من مجرد استراحة

للسائقين، وكان المطعم الذي تملكه عمها لا يفصله

عنها الآن سوى عدة ميا.

سارت مارغريت راقعة الرأس واسعة الخطى وهي تحدث

نفسها بأن الهواء النقي هو كل ما هي بحاجة إليه لكي تشعر

بالتعافى.

ان عمل تيمى في موقف الشاحنات لا يعني شيئاً، ومن الطبيعى بالنسبة اليه، ان يفضل عملاً كهذا على قلى الكعك المحلى بالسكر عند دانز فهذا لا يدل على انه يقتضى خطوات والديهما في العمل.

وتباطات خطواتها.

كان والدها قد أمضى أربعة وعشرين عاماً يعمل سائق شاحنة عندما وجدوا شاحنته في قعر واد والديها في داخلها ميتين.

لقد كشف تشريح الجثة عن ان السبب كان انسداداً في الشرايين ما سبب لوالدها نوبة قلبية جعلته يفقد سيطرته على القيادة، ما أدى إلى وفاته.

وكان هذا نتيجة الحياة غير المستقرة وأكل الشطائر الدسمة بكثرة في مواقف الشاحنات.

لذا، كانت عمته قد قررت فتح مطعم لسائقي الشاحنات. وكان هذا امراً مناسباً لوالديها، وخصوصاً والدها، فقد كان كل نوع من الطعام يقدمه المطعم قد اختير بعناية شامة من حيث خلوه من الكولسترول والدهم الزائد، ومع ذلك لذيذاً، والعناية بالصحة جعلت هذا المطعم مرغوباً ومقصوداً من سائقي الشاحنات والسائحين كذلك.

دخلت مارغريت من بوابة حديقة المطعم الخلفية إلى حيث المطعم رفعت عنقها جانباً هوبر عينيها عن عجيبة الفطائر التي كانت تقوم بصنعها، وأشرق وجهها بالابتسام وهي تدور حول المنضدة تحيي ابنة شقيقها: «مارغريت، مرحباً بك عائدة إلى بيتك يا حبيبتي».

كان بيتها هو ذراعاً عمته جانباً تضامنها، ودفعه

حنانها، وابتهامتها المحبة. بقيتا متعانقتين فترة طويلة، معبرتين عن سرورهما البالغ بهذا اللقاء دون كلمات.

كان هذا المطبخ شاهداً لكثير من مشاهد عودتها إلى البيت على مر السنين، كانت رائحة الخبز الطازج تملأ جوه تتعزج برائحة الشواء في القرن، بينما كانت العمة جانباً تصرع في تحضير فنجان قهوة لها. ولاحظت مارغريت تجديد ستائر النوافذ التي تشرف على الحديقة وصفاً من أواني الطهي النحاسية تتألق بجانب الجدار، ومن خارج المطبخ كانت تسمع الأصوات من المطعم مع صلصة الأطباق التي كانت تغسل في المطبخ، لشد ما اشتاقت إلى هذا كله. نظرت مارغريت إلى العمة جانباً، وسرعان ما لاحظت الخطوط الجديدة في جبهتها، والنظرة المتعبة في عينيها، كان من الصعب على الغريب ان يتصور مقدار ولع جانباً هوبر بالطهي والعمل، وسألتها برقة: «كيف حالك، يا عتي؟»

أجابت العمة بسرعة ونشاط: «في أحسن حال، اجلسي وسأسكب لك فنجان قهوة، هل وجدت تيمى؟»

«نعم، ان لديه عملاً جديداً الآن في موقف الشاحنات».

وخلعت لهجتها العمة جانباً تقف وإبريق القهوة في يدها، ثم تقول: «لقد ابتدأ بعمله هذا منذ شهر».

فكالت مارغريت شاعرة بخوف بالغ من الهوة الجديدة التي اقيمت بينها وبين شقيقها: «انه لم يسبق ان حدثني عن ذلك».

فكالت العمة: «ان ماتيو هو مثال تيمى الأعلى».

سألتها مارغريت بسرعة مفيدة الموضوع: «كيف حال

العمل في المطعم؟» فهي لم تكن تريد أن تتحدث عن ماتيو ما غنوم الآن.

«العمل كثير، واتمنى لو كان لدينا المزيد من المساعدين، لقد كنت أخبرتك عن جينا التي تشتغل عندنا على الصندوق، انها مستنجب مقلها بعد اسبوعين، ولم اجد بعد من يستلم مكانها، كما ان لدي وظيفة أخرى خالية، لقد وعيتي مكتب التوظيف في غاريسون بأن يهيئ لي موظفاً مناسباً بأسرع ما يمكنه، ولكن يبدو ان العمل في مطعم في الشوارع لا يلاقي رغبة من أحد.»

فتح الباب الذي يفصل المطبخ عن المطعم، ودخلت منه فتاة في أولخر شهور حملها، وعندما رأت مارغريت وقفت. ايتسمت جانيت للفتاة: «دخلي يا جينا وتناولى معنا فتجان قهوة، هذه ابنة شقيقي مارغريت، مارغريت، هذه جينا ويد.»

قالت جينا بخجل: «لا أريد ان اقطع عليكما الحديث، انا فقط أريد ان اشكرك لتلك الفطيرة اللذيذة التي اعطيتينيها أمس، يا جانيت، لقد أحبها جاك كثيراً.»

فكرت مارغريت بأن ثمة شيئاً لا تتغير أبداً، فقد كانت وشقيقها يريان دوماً ان عمتهم تمنح الآخرين نصف الطعام الذي تطهيه.

فقالت جانيت: «لقد صنعت لك شيئاً من صلصة المعكرونة لتأخذوها معك هذه الليلة، ضعيتها في الثلاجة، وستجدينها جاهزة بعد ان تنجسي طفلك، والآن اجلسي قبل ان تنتهي فترة استراحتك.»

قالت جينا لمارغريت وهي تجلس: «ان عمك لا تتوقف

عن الحديث عنك، لقد حدثتني عن كل العمل الذي تقومين به في معهد الأولاد المعوقين في واشنطن.»

قاومت مارغريت قائلة: «انني أعشق عملي، فقط أتمنى لو كان قريباً من هنا.»

وقالت العمة جانيت عزة: «ان معهد إدواردز هذا ينشئ لنفسه اسماً محترماً وان كان ببطء.»

سالت جينا: «ومن هو صاحبه؟»

أجابت مارغريت: «انه الدكتور آرون إدواردز، لقد تأثر جداً بعد قراءته مقالاً عن الاطفال المعوقين الذين يهجرهم آبائهم، فترك عيادته الناجحة في العلاج الطبيعي لينشئ هذا المعهد، وهدفه هو ان يأخذ اليه قدر ما يستطيعه من المعوقين لكي يرعاهم، وبعد فترة اكتشف ان بعض أولئك الاطفال استفادوا من التعلم والقراءة لهم، فاستأجر معلمين ليكنهم منحهم اهتماماً فرادياً، وكنت انا معلمة في سان فرانسيسكو عندما سمعت عن عمله هذا، فكتبت اليه، ولحسن حظي طلبني للعمل عنده.»

فألت جينا: «ان تعليم المعوقين يحتاج إلى صبر بالغ.»

قالت مارغريت: «نعم، وانا أحب عملي.»

أضافت العمة جانيت: «ان محبة الشخص لعمله هو سر السعادة، ومن الخطأ الجسيم ان يتخذ الناس العمل لمجرد سقار المال الذي يدره عليهم، وذلك بدلاً من التماس العمل الذي يريدونه حقاً.» وإذا لاحظت مارغريت العيوس المحاجيء الذي بدا على وجه جينا، سألتها: «هل تشعرين

شيء؟»

فأجابت هذه: «انا بخير، ثمة ألم بسيط في ظهري فقط.»

ثم أنهت قهوتها ووقفت وهي تمسك ظهرها: «لقد حان وقت عودتي إلى العمل، لقد سرني التعرف إليك يا مارغريت». وعندما خرجت جيذاً، نظرت مارغريت إلى عمتها: «إنها صغيرة السن جداً، أليس كذلك؟»

فأومأت أعممة برأسها: «لقد تركت المدرسة لتتزوج، إنها جديرة تماماً بالثقة، كما أن زوجها هو أحد سائقي ماتيو». يبدو وكأن ماتيو ماغنوم قد أقحم نفسه في حياة كل شخص في إنشواتر، ووقفت مارغريت فجأة: «هل أنت بحاجة إلى أي عون هنا؟»

فهزت العمة رأسها: «كلا، أبدأ، إنهمي وأريحي نفسك بعد ذلك السفر الطويل، فوجهك يبدو كوجوه الأموات».

منحت مارغريت عمتها أبتسامة سريعة ثم استدارت خارجة إلى حيث صعدت إلى الطابق العلوي حيث شقة السكن، أربع غرف نوم، وثلاث حمامات، وغرفة جلوس وغرفة طعام ومطبخ صغير لا يكاد يستعمل إلا للشاي والقهوة.

ذهبت رأساً إلى حمامها وأخذت تتفحص وجهها، لقد علمت الآن كيف تبدو وجوه الأموات، هالات قائمة تحيط بعينيها البنيتين، ثوتر وإرهاق يسلبان اللون من وجهها، شعرها الأحمر الكث النجعد الذي يصل إلى خصرها والذي تربطه إلى الخلف، يبدو الآن عتيدلاً لا حياة فيه، وكان الطقم الذي ترتديه منذ أمس يبدو مكرشاً، ذلك أن تركها واشتغل مباشرة بعد انتهاء اجتماع الموظفين في نهاية الفصل، لم يترك وقتاً لتغيير ملابسها.

وجعلها حمام ساخن تلقى بكل متاعب الساعات الأخيرة من ذهنها.

ذلك الرجل القوي، الغاضب في موقفه، الشاحنات، وتيمى وهو ينظر إليها وكأنه لا يحبها، ووجه عمته المرمق والذي يثاق بالمحبة.

بقيت هذه الصورة أمام عيني مارغريت وهي ترتدي بيجامتها وتأوي إلى فراشها، لقد أثارت رؤية موقف الشاحنات في إنشواتر كل مخاوفها الكامنة، ذلك أن وراء خوفها من عمل تيمى حول الشاحنات، كان يكمن خوف آخر هو الذي ألقى بظله البشع على أيامها وراودها في أحلامها، أنه خوفها من أن يسلبها الموت شقيقها كما سبق وسلبها والديها.

الفصل الثاني

سأل ماتيو الفتى الذي كان يتنظف بعض المعدات: «كيف يسير الحال، يا تيمي؟»

فارتفع الرأس الأحمر الشعر، ونظرت إليه العينان البنيتان المائلتان تماماً لعيني مارغريت، كان التعبير في العينين هو المختلف فقط، فهي لم تتحمل عناء اخفاء العداة والتوتر أمس، بينما تيمي كان ينظر إليه ببالح المودة والسعادة، وهو يرد عليه قائلاً: «بشكل جيد تماماً، يا سيد ماغنوم.»

«هل جاءت شقيقتك لقضاء الصيف هنا؟»

لم يغفل عما بدأ على وجه الفتى من عبوس وهو يقول: «لم أعرف بعد.»

«أظن وقتاً طويلاً مضى منذ أتت إلى البيت لأخر مرة، أليس كذلك؟»

أجاب الفتى: «إنها تأتي أحياناً في فرصة العيد، ولكننا في السنة الماضية، قمنا جميعاً برحلة معاً، إن مارغريت تشغل أثناء الصيف في واشنطن، فنذهب أنا وعمتي لنمضي بعض الوقت معها، إن لديها هناك شقة أنيقة.»

قطب ماتيو جبينه. ذلك أن المرأة المخنكة التي تعرف إليها لثوة، هي متلازمة تماماً مع مجتمع واشنطن، ولكن الألم البادي في عينيها يشير إلى جراح روحية عميقة. قال ماتيو وهو يبتعد: «حسناً، إذا احتاج أي منكما إلى

سواصلات إلى لوس أنجلوس أو فيغاس للتسوق، فانت تعلم إن عرضي ذلك ما زال قائماً، إن أيًا من السائقين سيأخذكما بكل سرور.»

«شكراً يا سيد ماغنوم، ولكن مارغريت لا تحب ركوب الشاحنات.»

وتساءل ماتيو عما يجعل مارغريت تحرق في الشاحنات كالمنسحورة ما دامت لا تحب الركوب فيها، لقد كان وانقاً من أن رؤية ذلك التعبير على وجهها لم يكن من فعل تصورات، وكذلك تلك النظرة الساهرة في عينيها، وتذكر ما كانت ذكرته حديث مرة من أن والدي مارغريت وتيمي قد قتلوا عندما أصيب الأب بذبحة صدرية وهو خلف مقود شاحنته. فهل وجود مارغريت هنا قد أيقظ شبح الماضي في نفسها؟

وناداه صوت من باب مكتبه: «يا سيد ماغنوم، إن توم كاسين على الخط يريد التحدث إليك.»

سأكون عندك حالاً. أجابه ماتيو بذلك وهو يهز كتفيه، واليه الكثير من العمل بشكل لا يدع له مجالاً لتحليل نفسه شقيقة تيمي براونينغ.

«أخبرني إذا كنت تريد مزيداً من أوقات الفراغ أثناء وجود شقيقتك هنا.»

نعم، يا سيدي.»

قال تيمي وهو يدخل الحديقة فتقع نظراته على شقيقته جالسة على الأرجوحة القديمة: «مرحباً يا مارغريت، ما سر أنك أن تنتظريني.»

فابتسمت بشقيقته بحنان: «كنت أمل أن نتحدث قليلاً»
«سأحضر زجاجتي عصير ثم أعود»

كان من عادتها أن تنتظر عودته من موعد أو نزهة مع
أصدقائه، وأمس في أول ليلة لها هنا، جعلها الارهاق تنام
مبكراً، أما هذه الليلة فقد قررت أن تنتظره.

طالما اعتادت، وشقيقها، الجلوس معاً على هذه
الأرجوحة حيث كانا يتحنتان إلى وقت متأخر من الليل.
فهنا لم يكن عليهما أن يخافا إقلاق راحة العمه جانيت والتي
كانت تستيقظ في الخامسة صباحاً، فقد كانت الحديقة،
يشذاها وظلالها تلك، مكاناً مناسباً لتبادل الأسرار.

لم يكن في نية مارغريت الاستقرار في حياتها، حتى
الآن فقد كانت تريد أولاً أن ترى تيمي وقد أنهى دراسته
الجامعية، وأن تطمئن إلى أن المطعم في حالة تسمح بأن لا
يكون على عمدتها أن تقوم بعمل أكثر من مجرد الإشراف،
وذلك قبل أن تبدأ التفكير في نفسها.

عاد تيمي بزجاجتي عصير تناولها واحدة ثم جلس وهو
يسألها: «والآن، ماذا فعلت في يومك هذا؟»

«لقد رقدت معظم النهار، ثم أفرغت أمتعتي وبعد ذلك قمت
بجولة في المكان».

كان الضوء المنبعث من المصباح يجعل من السهل رؤية
التعبير المبهم الذي كان يكسو ملامح شقيقها، وتخلل
شعره بأصابعه، فشعرت بالقلق. فهو لا يفعل ذلك إلا عندما
يكون حائراً أو مرتبكاً.

قالت باسمه: «كنت أظن أننا سنطلع على كل الأخبار».

«لا شيء هناك لتحدث عنه».

فتملكها الذعر، منذ متى تحول شقيقها إلى شخص غريب
مقفل الغم وهو الثرثار عادة؟ دوماً كانت العمه جانيت تقول
لها هي، مارغريت، هي الانطوائية في الأسرة بينما تيمي
هو الانبساطي المنفتح.

«هل أنت مصممة على قضاء الصيف هنا؟»

أترى في صوت تيمي نبرة حذرة أم هي مجرد تخيلات
عنها؟
«نعم».

كانت مارغريت قد اتخذت قرارها هذا بعد مخابرتها
الهاشمية الأخيرة لعمتها، فقد كانت هذه أخبارها أن تيمي قد
قرر العمل خلال الصيف، وأنها هي غير قادرة على القدوم
إليها في واشنطن هذه السنة بسبب عدم وجود من يستلم
مكاتها في المطعم. وكانت مارغريت قد لاحظت في صوت
عنتها الارهاق وعدم الحيوية خلاف عادتها، وهكذا قررت
أن تعود إلى انشواثر لمساعدتها.

لقد تملك عمدتها السرور لقرار ابنة أخيها هذا ولكن مثل
هذا السرور لم يظهر على شقيقها، سألته وهي تحاول
إعادة الاحتفاظ بابتسامتها: «هل تحب عمك الجديد؟»

فأشرق وجه تيمي: «إن السيد ماغنوم رجل هادئ»، إنه
«يصرخ ويشتتم كما كان دانيز يفعل. هذا إلى أنه يعطيني
خمس وعشرين سنت في الساعة أكثر منه».

«هذا عظيم». وبدا صوت مارغريت أجوف كاذباً.

سألها: «كيف حال أمورك في واشنطن؟»

«عظيم». لماذا لم تلاحظ من قبل سخافة هذه الكلمة
عندما؟

فسألها: «هل حولك المعهد إلى وظيفة في غاريسون
بمنصف دوام أثناء فصل الصيف؟»
«كلا، فأننا أريد أن أساعد العمدة جانيت في المطعم، لقد
فكرت في أن نمضي هذه السنة بعض الوقت معاً كأسرة...
وربما نقوم برحلة إلى يوريماييت.»
وكانوا، هم الثلاثة، قد سبق واستمتعوا برحلة مماثلة إلى
ناشيونال بارك.

فقال تيمي: «هذا عظيم ولكن ليس بإمكانني أن أحصل
على وقت فراغ، ولكن العمدة جانيت ستسرها رحلة إلى
يوريماييت بكل تأكيد. السيد ماغنوم يقول أن بإمكانني أن
أكون ميكانيكياً جيداً، وإذا أنا أردت، فهو سيجعلني أبدأ
رحلات قصيرة مع السائقين.»

فعلت في نفسها، كلا. وحاولت أن تنبذ من مخيلتها
الصورة السوداء التي شكلتها كلمات تيمي. كلا.
لم تكن تريد أن ينخرط تيمي في أعمال الشحن كأيتهما
كانت تريد أن يتخذ شقيقها عملاً حسناً منظمًا من الساعة
الثامنة إلى الخامسة يومياً ويعيش حياة عائلية مستقرة.
تأثرت بصوت جاهدت في جعله هادئاً: «ماذا فعلت في
الامتحان التحديدي لامتحان القبول للصيف الماضي؟»
كانت شهادة النجاح في هذا الامتحان تساعد الطالب في
قبوله لدخول الجامعة. وفي العيد كان تيمي يكرر قوله لها
أنه قدم هذا الامتحان.

هز تيمي كتفيه قائلاً: «لا بأس، كانت الرياضيات سهلة.
ولكن اللغة الانكليزية كانت صعبة للغاية.»
«لقد فكرت في أن بإمكاننا أن نمضي جزءاً من هذا

الصيف في استيعاب مواد هذا الامتحان، إنك تعلم أنه كلما
ارتفعت علامتك، كلما زاد حظك في الدخول إلى الجامعة.»
كان تيمي يريد أن يكون مهندساً، وكانت مارغريت تريد
أن يدخل أفضل كلية للهندسة في البلاد، وإذا به يقول: «قد لا
تقدم إلى هذا الامتحان.»

وكان لقوله هذا وقع الصاعقة عليها. «ماذا تعني؟»
«إنني غير واثق من رغبتني في الذهاب إلى الجامعة.»
«غير... غير واثق؟»

«إنني أفكر في العمل بعد تخرجي من المدرسة الثانوية.
ربما أذهب إلى مدرسة تعليم قيادة الشاحنات.»

قد يكون هذا كابوساً نتيجة قلقها البالغ.

«مدرسة... مدرسة تعليم قيادة الشاحنات؟»

أجاب وهو يتنهد: «نعم، علي أن أستيقظ باكراً لكي
أذهب إلى صيد السمك مع السيد ماغنوم، قلت له إنني سأريه
أحسن مكان يمكنه أن يجد فيه سمك السلمون المرقط.
تصبح علي خير يا مارغريت.»

تصبح علي خير يا تيمي.

إنه سيذهب ليدل ذلك الغريب على جدولهم المائي ويجعله
يصاد سمكاتهم، وذلك بالقرب من غاريسون. ولم تعرف
أيضا أكثر إلا لأم، أهو عدم سؤاله رأيها في كل ما يقوم به،
لقد ماتيو ماغنوم إلى مكانهم المفضل للصيد؟ ويبدو
أن تأثير هذا الرجل في تيمي عميق جداً، ربما أكثر عمقاً
من غرست هي في نفسه طوال هذه السنين.

قالت مارغريت جالسة شاعرة بالوحدة، غارقة عن
صوت الأرجوحة ودوايح الأعشاب التي تستعمل في الطهي

والتي تغرسها عمتها كل عام، وعن أفكارها التي تتقلب في ذهنها، وشعرت ببرودة السلاسل التي تحمل الأرجوحة وقسوتها تحت أصابعها، فتحت باب المطبخ، فأخذت تراقب أحد مستخدمى المطعم يعمل كيساً إلى حيث ألقاه في صندوق القمامة في ناحية من المبنى. كل شيء بدا لها غريب حقيقي، وعلا الكدر والاستياء مارغريت وهي تفكر في ما جناه موقف شاحنات ماتيو ماغنوم على شقيقها.

تيمي يريد أن يذهب إلى مدرسة تعليم قيادة الشاحنات إنه يريد أن يسوق شاحنة ضخمة... تماماً كالتي كانت لدى والدها، واعتصر الأثم قلبها، وعاودها نفس الشعور الذي كان تملكها عندما أخبروها بأن والديها لن يعودا قط، لقد أفلنت الحياة مرة أخرى من بين يديها، وأدركت مارغريت أن عليها أن تقوم بشيء تجاه هذا الأمر وذلك في أسرع وقت ممكن.

عندما سارت على الاسفلت، بعد ذلك بأسبوع، كان هذا عبقلاً، ومع أنها كانت قررت التحدث إلى ماتيو ماغنوم في اليوم الثاني من وجودها في انشواتر. إلا أنها لم تجد المرأة لذلك حتى الآن. وقد حدثت مارغريت نفسها بأن السبب في ذلك هو انشغالها بالعمل في المطعم طوال الأسبوع الماضي.

اثنان من السائقين، في طريقهما إلى شاحنتيهما، حدقا في وجهها بفضول، وكانت هي تعلم أنها تبدو شاذة في هذا المكان بما ترتديه من تنورة وكثيرة قطنية، ووشاح حريري حول عنقها، كانت بحاجة إلى الثقة بالنفس التي

توفرها لها ملابسها غير المتكلفة هذه، حتى شعرها قد رفعت إلى أعلى ليؤكد طبيعة هذه الزيارة العملية. وإذا لم تستطع مخابرة ماتيو ماغنوم هاتفياً أمس الأول، فقد أجابها على الرسالة التي كانت تركتها له، فتاة ات إنها المساعدة في مكتبه في الدوام النصفى، وأن سيد ماغنوم سيسره رؤيتها عند الساعة السابعة من صباح يوم الأربعاء. وكان تيمي يذهب إلى العمل الساعة الثامنة وهذا، كما فكرت مارغريت، سيمضها وقتاً كافياً بما جاءت لأجله.

«هل أستطيع مساعدتك؟» قالت لها ذلك امرأة نظرت إليها من خلف جهاز كمبيوتر على مكتبها حين دخلت مارغريت. فقالت: «لقد جئت لمقابلة السيد ماغنوم هل هو هنا؟» «إنه في المبنى الخلفي. آخر غرفة إلى يسارك.» «شكراً.»

سارت مارغريت باتجاه المبنى شاعرة بارتجاف مفاجئ، في ساقيهما، اتجهت نظراتها إلى اليسار نحو الباب الأخير، ثم توقفت، كان شيئاً لا يصدق في عين كل هذه الجدران الخرسانية والعجلات كانت فسحة مهددة مساحتها تبلغ الأربعة أمتار يحيط بها جدار من القرميد يبلغ القممين علواً، كانت الفسحة في الداخل مقطاة بعشب رائع كما قامت في الوسط شجرة وارفة تظلل فساكب منتظمة من الأزهار، تحيط بذلك شجيرات كثيفة من الورد المزهر، وكان شذا الورد يعبق في الجو، كان هذا مكاناً غريباً لإقامة حديقة، ولكن جمالها الخالص ترك في نفسها أثراً عميقاً، وتساءلت حين عسى أن يكون فكر في إقامتها هنا.

ونكرها هدير محرك ياتها لم تات إلى هنا للإعجاب
بالمكان ولكن لمقابلته صاحبه.

وإذ استدارت إلى شمالها، رأت اللوحة التي تحمل الاسم،
ماغنوم، بكل بساطة ودون زينة أو زخرفة.
وإذ قرعت الباب، سمعت كلمة «أدخل». فدقعت الباب
بحذر، ودخلت.

كان يحرق من النافذة. فنظرت إلى المقعد المنخفض
الجالس عليه، والمكتب القديم المغطى بأكوام من الورق،
ومن حيث كانت واقفة، تمكنت من أن ترى أن المكتب يطل
على الحديقة الصغيرة.

كانت تتوقع أن تجد هذا المكتب مماثلاً للمكتب
الأماسي... شيئاً يشابه مكاتب الشركات الفخمة المهيبة
والتي تراها في التلفزيون، مع المقاعد الجلدية الفخمة، هذا
إلى سكرتيرة شقراء بالغة الجمال. أما هنا، فكان يوجد
منضدة عليها إبريق القهوة وعدة كراسي مطوية إلى رفوف
للمكتب وخزانة للملفات، وإلى جانب الجدار يوجد منضدة
أخرى عليها جهاز كمبيوتر وآلة طباعة. عندما نظرت
مارغريت حولها، كانت الكلمات التي تدافعت إلى ذهنها
هي، الدفء والبساطة، وجو البيت.

وعرفت من خليط الأصوات المتصاعد في جو المكتب أن
ماتيو ماغنوم يستمع إلى محطة راديو اتحاد الصناعيين.
كانت رائحة القهوة المتعشة تملأ الجو. ولم تستطع هي
أن تتجنب ملاحظة أن شعوه اللقائم كان مبتلاً.

جعلتها رؤيتها له وهو ينظر إلى الحديقة، تتوقف في
مكانها. هل كانت حديقة الورد فكرة ماتيو ماغنوم؟ كان

التفكير في تلك مزعزعاً. فالإنطباع الذي خلفه في نفسها
بأنه رجل خشن عديم الصبر كان يخالف ما تراه الآن. فهذه
الغرفة العادية والحديقة كانتا أشبه بنافذة إلى عقله، فما
رأته قد بلبل ذهنها، لقد كان بإمكان مارغريت التعامل مع
الرجل الخشن العديم الصبر حيث أنها قابلت كثيرين من هذا
النوع، أما هذا الرجل... فقد جعلها تشعر بعدم الارتياح.
فكل ما هنا يشير إلى أن هناك شيئاً ساراً، مستحيماً،
وانسانياً للغاية في شخصية ماتيو ماغنوم.

ازدردت ريقها محاولة السيطرة على أفكارها: «يا سيد
ماغنوم...»

استدار إليها، ثم شملتها نظراته قبل أن ينهض واقفاً.
«آه، شقيقة تيمى براونينغ. قالت لي ليكسي أنك تريدين
رؤيتي. ما الذي بإمكانني أن أقوم به لأجلك؟»
«إنني هنا لأتحدث إليك بشأن تيمى.»

رفع كومة أوراق عن كرسي وقال لها: «تفضلتي
بالجلوس.» وأطلق الراديو ثم جذب كرسيه الآخر وجلس.
جلست هي على حافة الكرسي وجذبت نفسها غميقاً، كان
لا يبعد عنها سوى ثلاثة أقدام. وقد جعل نور الصباح لون
عينيها يبدو مختلفاً هذا النهار... أخضر مزيجاً بالاصفرار.
كانت النظرة قبيحة بعيدة عن التكلف والرسعيات وهو
يتقحصها بعناية، وجذب شبه الابتسامة على شفتيه
انتباهها إلى ذقنه، ما جعلها تنسى ما جاءت لأجله.
«أتريدين قهوة؟»

«كلا، شكراً إنني فقط أريد عدة دقائق من وقتك.»
«بالفائدة.»

«إن تيمى صغير السن جداً، والمراهقون غالباً ما يمرون بمراحل قد لا تعنى شيئاً في الحقيقة، فإذا أنت لم تشجعه على هذا...»

وتلاشى صوتها، إنها تتكلم بشكل عشوائي فكلماتها غير مفهومة حتى بالنسبة إليها.

«ما الذي أشجعه أنا عليه بالضبط؟»

أخذت تعبت بطرف وشاحها بيدين متوترتين: «هذا الولع بالشاحنات، إن تيمى سيصبح مهندساً...»

«لماذا؟»

«لأنه يشغلك مثله الأعلى، وكل كلامه يدور حول سيرتك...»
«ليس هذا ما عنيت، سؤالي هو لماذا عليه أن يصبح مهندساً؟» ولم يظهر في صوته ما يدل على أنه شعر بالزهو لتزلف تيمى له.

فحاولت أن تعيد سبك كلامها: «لقد كان أبي سائق شاحنة، وقد قتل والداي معاً عندما أصيب بنوبة قلبية وراء المقود، كما أن شاحنته تحطمت...»

«وهكذا، طالما شقيقك ليس سائق شاحنة، فهو في أمان؟» وبدأ عليه بوضوح عدم موافقته على رأيها هذا.

«إنك لا تعرف تأثير ذلك على العمة جانيت...» ولم تستطع مارغريت أن تخفي رجفة الغضب في صوتها.

استند حاتيق إلى المكتب القديم، وهو يقول: «لماذا لا تخبريني بتأثير ذلك على جانيت؟ إنها تعرف أنه يعمل عندي، ومع ذلك لم تعترض...»

لم تستطع أن تكبح كلماتها وهي تقول: «ربما هي ترجو، مثلي أنا، بأن تلك ما هي إلا نزوة عابرة لتيمى، وأنا لا

أريدها أن تعيد إحياء الكارثة المتصلة بالشاحنات، في حياتها...»

ولو كان هناك أي كارثة متصلة بالشاحنات في ذهنها، لما فتحت جانيت، في رأيي، مطعماً لسائقى الشاحنات...»

حققت إليه مارغريت، وقد أدركت أنها قد أخطأت في سجيئها إلى هنا، فقد كان يستمتع بالجدل معها، فكلامها لن يقيد شيئاً معه، ونهضت وهي تقول: «لن آخذ المزيد من وقتك، يا سيد ماغنوم...»

فمد يده يمسك بذراعها برفق وهو يقول: «لا تذهبي...»

«عفواً؟»

كان صوتها ينبئ بالحزن والعجز، ما جعله يشعر بانقباض في صدره، وتأثر لتلك الطفلة التي لحجها خلف هذه المرأة الناضجة.

«لا تهربي خارجة بتلك الدموع التي تغشى عينيك، قاتنا لا أريدك أن تسيري أمام إحدى شاحناتي في حالته هذه...»

وأما وقد جمعت مكانها، وشعر بأنها غاضبة ومتوترة سراً، وما لبثت أن قالت بعدة وفي صوتها نبرة بكاء: «إنني أليكى حين أغضب...»

فابتعد عنها، ثم قال لها وهو ينظر إليها: «ولماذا تغضبين؟ هل لأنك لم تحصلي على رغبتك هذه المرة؟»

فقال بغضب: «ليس هذا هو السبب، وإنما لا أستطيع أن أحتمل فكرة أن تيمى سيصبح سائق شاحنة...»

«هل تريد قشدة مع القهوة؟ أم سكر؟»

فحققت فيه لحظة خيئل إليه معها أنها ستندفع خارجة من المكان، ولكنه رآها ترفع رأسها قائلة: «لا أريد أي قهوة...»

«إنها استهدى أعصابك. هذا إلى أننا لم ننه حديثنا بعد.»
رأى أنه إذا كان تيمى براونينغ كتاباً مفتوحاً، فإن
شقيقته على العكس، فهي من الانغلاق بحيث تحتاج إلى
كثير من الحديث والوقت لكي يتغلغل في أعماقها.

«قليلًا من القشدة وملعقة سكر واحدة من فضلك.»

من المؤكد أن فقدان مارغريت لوالديها كان شيئاً بالغ
القسوة، ولكن هذا لا يعطيها عذراً في السيطرة على حياة
شقيقها وكان الفتى لا يملك عقلاً، قطب ماثيو جبينه وهو
يفكر في ذلك، متذكراً تصميم والده هو على تقرير أمر
مستقبله، والكفاح المرير الذي عاينه لكي يحصل على حريته.
ناولها فنجان القهوة وهو يقول: «إن تيمى كبير إلى حد
يكفي لكي يتخذ قراره بنفسه.»

قالت: «ولكنه في السادسة عشرة فقط.»

«ألم تكوني بهذه السن عندما تخرجت من المدرسة
الثانوية، ثم تركت بيتك لكي تتحققي بالكلية؟»
طرقت مارغريت بعينيها، كان هذا صحيحاً فقد كانت
قفزت صفيين من المرحلة الابتدائية، ثم تخرجت قبل من هم
في عمرها، بسنتين وهكذا كانت في السادسة عشرة عندما
تركت بيتها إلى كلية بيركلي.

«إن الفتيات أكثر نضجاً من الفتيان في نفس السن.»

فرد عليها بهدوء: «ثمة حالات استثنائية. ما الذي قاله
تيمى عما يريد فعله؟»

«لقد تحدثت عن مدرسة تعليم قيادة سيارات الشاحن، بدلاً
من الذهاب إلى الكلية.»

قطب ماثيو ماغنوم حاجبيه: «ربما كنت أنا مسؤولاً

جزئياً عن قراره هذا، فقد تحدثنا منذ أيام عن الحياة في
الطرق، وقد أكون جعلته يفكر في أن بإمكانه أن يكسب
خمسين ألف دولار سنوياً، لم أدرك أن تيمى سيختار مهنة
قيادة الشاحنات قبل دخول الكلية.»

«خمسون ألف دولار؟» كان ذلك أكثر مما تكسب من
التعليم بعد خمس سنوات في الكلية وشهادة في الثقافة.
ومن المؤكد أن والدها لم يكن يكسب مثل هذا المبلغ.
وسألته بغضب: «من تظن نفسك إذ تملأ ذهنه بمثل هذه
الأكاذيب؟»

فنفذ إليها بخدة: «إنني لا أستعمل الكذب، يا آنسة براونينغ.
إن لدي خمسة سائقين يتقاضون مثل هذا المبلغ، واثنين
يتقاضى الواحد منهما خمسة وسبعين ألفاً في السنة.»

«هذا شيء غريب طبيعي.»

«هذا ما كنت أوشك أن أقوله، فهؤلاء الرجال قد أمضوا
سنوات في العمل في شاحنات يدوين، وهم سائقون ممتازون
ويعتمد عليهم، ويقطعون مسافات طويلة، ووصلهم إلى مثل
هذا المركز يأخذ ما معدله ثلاثون عاماً في العمل.»

«ليس هناك ما يضمن وصول تيمى إلى هذه المرحلة.»
«تماماً كما أنه ليس هناك ما يضمن أن يصبح مهندساً
جيداً.»

«إذا كان مهندساً فحياته ستكون آمنة.»

«على ماذا تؤسسين اقتراضك هذا؟ هل يقول الطب أن
المهندسين لا يموتون بالذبحة القلبية في سن الثالثة
والأربعين؟»

وردت مارغريت أن لا فائدة من الحديث مع رجل لا يرى

أبعد من أنفه، وهكذا أسرعت في إنهاء قهقهتها، لكي تخرج وقال: «إن المشكلة، في رأيي، ليست هو، بل أنت.»
 إذن فهي المشكلة. ما أعظم هذا، وأجابته بصوت ينطق بالعداء: «ماذا تعني؟»

«أعني أنك أعددت لشقيقك قصصاً مكتوباً عليه مهندس وآمن، وتريدين أن تجعله يدخل إليه وذلك بالمداينة والصبر، دون اعتبار لمشاعر.» صحيح أن ما يدفعك إلى ذلك هو حبك له، وأن الققص هو ذهبي، ولكن هذا ليس عذراً لما تقومين به.»

ففتحت قمها ذاهلة، من يظن ماتيو ما غنوم نفسه، إذ يحلل نفسيته وكأنها هنا على أريكة التحليل النفسي؟

وتابع ماتيو يقول: «إنك لا تكافئين تضيئين أسبوعين في السنة هنا في عطلة العيد، وتيمي يزورك في الصيف لقضاء أسبوعين آخرين، فكيف يسمح لك اتصالك به مدة أربعة أسابيع في السنة، بأن تظني أنك تعلمين ما هو الأفضل له؟ بينما أنت لا تعلمين حتى ما هو الأفضل لك أنت نفسك.»

ازدردت مارغريت ريقها بصعوبة ثم فتحت فمها لتتكلم ولكنها لم تستطع النطق.

«هل فكرت في الأمر من وجهة نظر تيمي؟»

فهزت رأسها نفيًا.

فقال: «هذا الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليه، فما قاله بشكل غير مباشر عندما تحدثنا، أدركت أنه تلقى من ردة فعلك حين تعلمين بأنه يعمل هنا. إن علاقته بك حميمة جداً فلا تقومي بأي شيء يدمر هذه العلاقة معه.»

«إن اهتمامي البالغ بأخي لا يسمح لي بأن اتخذ موقف المتفرج بينما هو يفسد حياته.»

«لا أظن عنادك في موقفك هذا بسبب عمل تيمي، وإنما بسبب السيطرة. إنك تفقدين السيطرة على شقيقك وهذا ما يخيفك أكثر من أي شيء آخر، أليس كذلك؟»

اجابت بعصبية: «إنني لا أعلم ما الذي تتحدث عنه.»
 «كلا، بل تعلمين، فلا تنظا هري بالجهل، فانت دوماً كنت تسيطرين على تيمي وتريدين الاستمرار في السيطرة عليه.»
 «إنني أريد له الأفضل.»

استدار مبتعداً عنها وأخذ يحرق من النافذة وهو يقول: «هذا سبب ضعيف، فأنا أعلم كم هو مؤثر نوع سيطرتك هذه، ذلك أن والذي لم يقبل قط بالاستماع إلى ما كنت أريده من الحياة، كان مستبداً في قراراته بالنسبة لأولاده، ما جعل كلاً منا يترك البيت في أسرع وقت ممكن. فإذا لم تتغيري فستفقدن أخاك.»

فاكتسح مشاعر مارغريت الخوف، ولكنها عادت تقول: «إن تيمي هو أصغر من أن يعرف ما يريد.»

«هذا غير صحيح، فقد كنت أنا في الخامسة عشرة عندما تركت البيت لأتخلص من أبي، ولحسن حظي قابلت رجلاً حينئذ بكلام معقول، فعدت إلى البيت. وإلا لكانت حياتي الآن مختلفة تماماً، وأنا الآن أرى نفسي ذلك الصبي في شخص تيمي، مشوشاً، محبطاً، عقيداً، ويبدو أنك وشقيقك، تملكان نفس الصفات، فإذا لم تتغيري من وجهة نظرك هذه فستخسرينه.»

«إنني لا أحاول السيطرة على حياة تيمي، فقط...»
 فقاطعتها: «فقط بالنسبة لقراره بالعمل هنا، ثم سيكون فقط بالنسبة للملكية التي سيذهب إليها، ثم فقط بالنسبة للمرأة التي سيتزوجها. إن تيمي ليس حجر شطرنج على لوحك.»
 لم يكن في كلام هذا الرجل، حسب رأيها، ذرة من

المنطق، ما الذي جعلها تفكر في أن المجيء إلى هنا سيغيرها في حل مشكلتها؟

وعندما حملت به، قال: «أما بالنسبة لعدم رغبة تيمى في الذهاب إلى الكلية، فلا علاقة لي بهذا الموضوع، فأنا أشجع كل مستخدم عندي على أن يحصل من الثقافة قدر ما يستطيع.» علقت حقيبتها اليدوية بكتفها بعناية بالغة، ثم قالت بطريقة متكلفة: «الوداع يا سيد ماغنوم.»

سارت خارجة من المكتب والغضب يغلي في صدرها، كلمة واحدة أخرى وتنفجر، وفي طريقها إلى البيت، أخذت تشتمه بمختلف الأسماء، وعندما دخلت إلى مطبخ المطعم، كان الغضب ما زال يغلي في صدرها.

«صباح الخير يا مارغريت، لقد استيقظت باكراً هذا الصباح.»

فاخذت صحناً وضعت فيه قطيرة ساخنة، ثم سكبت لنفسها قنجان حليب، وفي منتصف الطريق إلى غرفتها انتبهت إلى أنها لم ترد على تحية عمها الصباحية.

أغلقت خلفها باب غرفتها بعنف، ثم وضعت فمورها السريع على المنضدة لتلقي بنفسها بعد ذلك على السرير.

نسيت ماتيو ماغنوم، نسيت تيمى، نسيت كل إنسان وهي تستلقي طويلاً ضائعة في ذكريات أخذت تتزاحم في ذهنها.

والدها يمر بيديه الكبيرتين على شعرها وهو يقول: «كل الجميلات لهن شعر طويل.» أمها تدفعها على الأرجوحة وهي

تبتسم لها. والدها يرفعها بين يديه في المستشفى وذلك لتتمكن من رؤية أخيها المولود حديثاً. أمها تقول لها إنها

الأخت الكبرى، ووظيفتها هي أن ترعى تيمى أثناء غيابهما.

ألمتها الذكريات. وزاد من ألمها أن تيمى لم تكن لديه أي منها وذلك لأنه كان أصغر من أن يتذكرهما، مثلها لقد حاولت أن تذكره، وكذلك غيرها فعل، ولكن عبثاً. وشعرت مارغريت بغصة في حلقها. كل ما كانت تريده هو سعادة تيمى.

تذكرت الجنائز يوضح، تذكرت العنة جانيت وهي تحضنها عندما أخذت تكي، هامسة في أذنها: «لا بأس يا حبيبتي، سنندبر أمرنا.»

ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فقد جاهدت عمها جانيت في اغراق أحزانها، وذلك لكي تملأ الفراغ الذي تركه الوالدان في حياة مارغريت وتيمى.

كلا، إنها لا تريد أن يسير تيمى على خطوات أبيه، وهو ما كان يفكر في ذلك لو لم يحضر ماتيو ماغنوم إلى انشواتر.

جلست مارغريت في سريرها قجاة، لماذا تسمح لماتيو ماغنوم بأن يؤثر عليها بهذا الشكل، على كل حال؟ فهو غير

مهم، المهم هو تيمى، إنها ستترك الأمر خامداً عدة أيام، ثم ستعود مرة أخرى، فتجعله يرى الأفضل بالنسبة إلى مستقبله،

إلى تيمى سيعود إليها في النهاية، كما طالما فعل.

الفصل الثالث

إرتدت مارغريت ثيابها، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل، فإلعمل سيصرف ذهنها عن القلق على تيمي.

«أتعرفين يا عمتي ما الذي جاء بماتيو ماغنوم إلى إنشواتر؟ لقد كان جو ذكر لي شيئاً بهذا الشأن، ولكنني نسيت ما هو.» قالت مارغريت ذلك وهي تدخل المطبخ.

أخذت عمتها تعدل من حرارة الفرن قبل أن تنظر إليها قائلة: «حسناً، لقد جاء ماتيو إلى هنا منذ عام ونصف، عندما اشتري الأرض في هارفي سيمز، وعندما ابتدأ البناء أخذ يكثر التردد على المكان ملاحظاً سير العمل. وعندما ابتدأ العمل في موقف الشاحنات، أخذ يمضي معظم وقته هنا ولكن مقره كان في لوس انجلس.»

«ولكن ما الذي بقي بفعله هنا؟»

«يقول انه يحب هذا المكان، فهو هادئ» وتقدم الحضارة فيه بطيء، ما يجعل لدى الناس وقتاً ليضعهم البعض.»

تساءلت مارغريت لماذا لم يفكر لها أحد أمر موقف الشاحنات هذا، فبين المكالمات الأسبوعية مع عمتها وشقيقها، وكذلك الرسائل التي كانت العمة ترسلها إليها بانتظام، لم يكن ثمة شيء يحدث في إنشواتر لم تكن تعرفه، ومع ذلك تجنبا الاثنان على ذكر موقف الشاحنات هذا أو ماتيو ماغنوم، أترى مؤامرة الصمت هذه كانت مركزة على الظن بأن ما لا تعرفه لا يضر بها؟

«انه غير مقيم في إنشواتر، أليس كذلك؟»

ذلك ان الذين يعجبون بإنشواتر هم عموماً المارة الذين يتوقفون ليأخذوا صوراً لغروب الشمس، مطمئنين إلى ان ليس عليهم ان يعيشوا في هذا المكان إلى الأبد، وإذا كان عليهم ان يقيموا في هذه المنطقة، فهم عادة يختارون غاريسون والتي هي أكثر عمراناً.

أومات العمة برأسها غائبة الذهن وهي تنظر حولها باحثة عن شيء ما: «ان لديه غرفة في نزل ماك، قائلاً انه يريد ان يكون قريباً من موقف الشاحنات، لقد ذكر ماتيو انه قد يضع في اعتباره بناء بيت له هنا، فيما بعد إذا ما قرر البقاء في إنشواتر بشكل دائم.»

لم يكن في إنشواتر بيوت أو نزل أخرى للايجار فنزل ماك كان الخيار الوحيد لكل من يريد الإقامة هنا. فراش سيء كثير الكتل، تلفزيونات لا تعمل وماء ساخن بين حين وآخر. ان ماتيو ماغنوم يستحق كل ذلك.

وعادت تسأل: «كيف تعرف عليه تيمي؟»

«كان ماتيو زبوناً كثير التردد على المطعم، ولكن تيمي لم يتعرف إليه في الحقيقة الا عندما دعى ماتيو إلى قاعة الاجتماعات في غاريسون لكي يتحدث إلى العمال الجدد والقدماء، وبعد ذلك ألقى تيمي على ماتيو اسئلة كثيرة، فدعاه ماتيو إلى زيارة موقف الشاحنات، وبعد ذلك عرفت ان ماتيو قد استخدم تيمي.»

ونظرت العمة إلى وجه ابنة شقيقها الجامد، ثم قالت: «ان موقف الشاحنات هو مكان لعمل تيمي افضل كثيراً من محل صير دوناثر. فلان لدناثر قماً يحتاج إلى طن من الصابون

لتنظيفه، كما ان الفتى الآخر الذي يعمل لديه، له سجل في دوائر الشرطة.»

حدثت مارغريت نفسها بأن ماتيو ماغنوم لن يستطيع البقاء خلال شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس) عندما تهب الرياح الساخنة من الصحراء، حيث تغطي إنشواتر بالغبار. فالسام والخصيق سيقتفانه بعيداً، وعند ذلك ستستعيد شقيقها، ذلك ان عمله في موقف الشاحنات ما هو إلا فترة مؤقتة يمر بها تيمى.

وقالت العمة: «لقد كان ماتيو بالغ الكياسة، فهذه الأيام تحتوي مواقف الشاحنات على مقاء بجانب المخازن، محطات الوقود، وخدمات الإصلاح وتمكنة لينام فيها السائقون ويغتسلون، فإذا هو اضاف مقهى إلى موقف شاحناته، لكان عليّ ان أغلق مطعمي هذا لقلة العمل، وأحد أوائل الأشياء التي طمأننتي اليها هو انه لن يقوم بمثل هذا العمل.»

ورأت مارغريت ان عمته كانت محقة بالنسبة لهذا، فثمانون بالمائة من زبائن مطعمها هم من سائقي الشاحنات، سألت مارغريت عمته: «أتريدين عوناً هنا؟»

«كلا، وإذا لم يكن لديك عمل تقوعين به، فلماذا لا تأخذين مكان جينا أثناء راحتها؟»

فايتمت مارغريت: «انك تريدان الخلاص مني، أليس كذلك يا عمتي؟ سأراك قريبا بعد.»

حين ذهبت إلى المطعم سألت جينا: «كيف حالك، يا جينا؟» نظرت إليها جينا ضاحكة: «مرحباً مارغريت، انني بخير، كل ما أريده هو ان يكفّ الصغير عن لعب الفوتبول في بطني إلى أن يخرج.»

كانت آلة المحاسبة من الأشياء المستحدثة التي تقوم بكل شيء ما عدا إعادة بقية النقود، وسرمان ما تعودت مارغريت عليها، أما ما وجدته صعباً عليها فهو كونها بحاجة بسائقي الشاحنات الذين كانوا يشكلون الأغلبية بين زبائن المطعم. لغتهم العامية الخاصة، سلوكهم وملاصبتهم، كل تلك اعاد اليها تكريات غاية في الايلام عن والديها.

تناولت جينا حقيبة يدها ثم تنهات: «أرجو المعذرة إذ يبدو ان العباس اخذ يملككني مؤخراً، انني مسرورة لمساعدتك لانا في المطعم، فانا لن اشعر بالذنب عندما يأتي الطفل، لقد كان قلق تملك العمة جانيت عندما لم تجد محاسباً.»

«ان الناس يفضلون العمل في غاريسون أو بارستو.» أومأت جينا وهي تتوك كرسيها خلف آلة المحاسبة: «العمة جانيت تقول ان هذا احد الاسباب التي جعلتها تحول المكان إلى مطعم ذي خدمة ذاتية، وبهذا يمكنها ان تتدبر أمورهما بموظفين أقل عدداً.»

احتلت مارغريت مكان جينا، وكان انتباهها قد سبق وتسمر على الزبون الذي كان ينتظر ليدفع فاتورته، لم تكن المهمة شاقة.

رقت العمة جانيت بصرها عندما سمعت صوت الباب الخلفي، وقالت تحتي القادم: «ماتيو، هل شمعت رائحة فطيرة التفاح التي صنعتها من موقف شاحناتك؟»

قطعت قسماً كبيراً من الفطيرة وضعتها في طبق وهي تتابع قائلة: «الجلس وكل هذه ريشما أحرر لك الشيك، منذ مدة طويلة لم أرك.»

فقال: «لا ضرورة للسرعة بالنسبة إلى النقود يا جانيت.»

لمهزت رأسها قائلة: «كنت شهماً للغاية حين منحتني قرضاً، هذا إلى قبول سدادها لك على أقساط، ولهذا لن اتهاون في إعادته إليك.»

قال وهو يجلس ماداً يده إلى القطيرة: «لقد نسيت ابنة شقيقك وشاحها في موقف الشاحنات الأسبوع الماضي، وقد جئت أنا فقط لأعيده اليها.»

رفعت بصرها عن الشيك الذي كانت تحرره: «هل ذهبت مارغريت لرؤيتك؟ هل كان ذلك يوم الأربعاء الماضي؟» غاموا برأسه دون أن يقول شيئاً.

قالت وهي تحك أنفها: «كان الاستياء يبدو عليها في ذلك النهار، ان علاقتها بتيمي حبيصة جداً، وكنت اعرف انها ستسأء جداً عندما تعرف انه يعمل في موقف للشاحنات، هل اخبرتها ان تيمي كان قد اخذ يتسكع مع ذلك الفتى الذي لديه سجل عند الشرطة؟»

لمهز رأسه: «كلا.»

قالت وهي تتأوله الشيك: «ماتيو، هل لك من فضلك، بأن لا تخبر مارغريت بأمر القرض المالي هذا؟»

«انها لن تعرف ذلك مني، ولكن لمانا تريد ان تخفي عنها الحقيقة؟ لقد كانت السنة الأخيرة بالغة الصعوبة بالنسبة إليك، وهي لم تعد صغيرة على معرفة ذلك.»

جلست جانيت ونظرت اليه: «انتي لا تحاول حمايتها، ذلك ان مارغريت لو علمت بأمر هذا القرض، لأصرت على سحب مدخراتها وتسديده لك، وأنا لا أريد هذا.»

«انك تحبين ابنة شقيقك كثيراً، أليس كذلك يا جانيت؟» لقد واجهت مارغريت مشاكل كثيرة في حياتها، يا

ماتيو، لقد عني وعن شقيقتها لم تهتم بأي شخص آخر، وكأنها لا تريد ان يلهيها احد عن العناية، بتيمي.»

سألتها: «ولكن ألا تكسب أجراً حسناً في واشنطن؟ ان عليها ان تساعدك مالياً.»

تحدثت جانيت اليه بدعشة: «ان مارغريت هي اكثر افراد اسرتنا سخاء، ولكنها لا تستطيع مساعدتنا لأنها تسدد قرضاً كانت قد اخذته لكي تدخل الكلية، وعليها ان تسدده حالما تنتهي عملاً، ليس بإمكان معهد إدواردز ان يعطي أجوراً عالية للمعلمين عنده، وهذا هو السبب في ان مارغريت تبحث عن عمل ينصف دوام اثناء فصل الصيف وذلك لزيادة دخلها. وفي العام الماضي جعلت هدية العيد لنا رحلة رائعة لأنها كانت تعلم كم كنت أتلهف إلى ذلك، وهي الآن توفّر تقودها لتقع تفقات دخول تيمي للكلية، وبذلك لا يكون عليه ان يقدم اقتباساً بمنحه قرضاً يساعده على ذلك كما فعلت هي، انها يوماً ترسل إلينا أشياء و...»

«هذا يكفي.» قال ماتيو رافعاً يديه الاثنتين بإشارة استسلام بعد ان ادرك انه خسر المعركة، فقد كان واضحاً أن مارغريت في نظر عمته، لا يمكن ان تخطيء، «انتي سأعيد اليها وشاحها بنقسي.»

رفعت مارغريت رأسها لدى سماعها صوتاً عند الباب، وجمدت في مكانها. ذلك ان خيالاً أسخماً حجب الضوء عدة ثوانٍ، أخذ قلبها اثثناءها يخفق، وذلك قبل ان يدخل ماتيو ماغنوم متوجهاً اليها.

«اعتقد ان هذا لك..» ووضع الوشاح على المنضدة، فأخذت مارغريت تحديق اليه بجمود.

«لقد كنت تركته في مكتبي، ولا بد انه انزلق خلف المكتب، لقد وجدته هذا الصباح عندما سقطت ورقة من فوق المكتب.» وشعرت مارغريت بوجهها يتوهج: «شكراً لإحضاره لي.» لقد كرهت ان تكون شاكراً له، ولكن هذا الوشاح الحريري الايطالي كان هدية للتخرج الذي تلقته من عمته، ومن المفروض ان تقر له بالجميل.

وقال لها: «بعد ان خرجت من مكتبي ذلك النهار، طرأت على ذهني فكرة فإذا لم تكوني مشغولة، يمكننا ان نتحدث.» وتحولت نظراته عنها. «هل لك يا جينا بأن تستلمي مكانها لفترة؟»

التفتت مارغريت لترى جينا واقفة بجانبها وقد بدا عليها الإعتذار: «انني آسفة لتأخري عليك يا مارغريت، فقد قاجاني اليوم دون وعي مني.»

«لا تهتمي بذلك، فانت بحاجة إلى الراحة.» وهتف بها ماتيو وقد ملأ فنجانين من القهوة: «مارغريت.»

فنهضت كارهة، وتظر هو اليها كان شعرها الأحمر معقوصاً إلى الخلف، ولكن خصلات منه أفلتت لتحيط بوجهها وتلتصق برقبتها، وتلاقت أعينهما فحولت نظراتها عنه بسرعة ولكن ليس قبل ان يرى كراهيتها لمواجهته.

لم يستطع ان يفهم السبب الذي جعله يريد رؤيتها مرة أخرى، كان بإمكانه ان يرسل الوشاح اليها مع تيمسي أو يعطيه لجانيت، ولكن منذ لقائهما الأسبوع الماضي لم

يستطع ان يبعد افكاره عنها. حدث نفسه بأن اهتمامه موجه إلى تيمسي، ولكن وجه مارغريت هو الذي كان احتل افكاره طوال الأسبوع، كان يريد ان يعرف المزيد عنها.

جلسا بجانب نافذة، واخذت هي تنظر إليه وهو يضع في فمها ملعقة سكر وقليلاً من القشدة قبل ان يضعه اسمها. «انه كما ترغبينه تماماً.»

«شكراً.» وجاءت هذه الكلمة تحمل الجمود والحرج الذي تشعر به.

أخذت تحرك السكر في فمها وهي تتسائل عما يريد ان يتحدث عنه، ليس بينهما أي شيء للحديث سوى تيمسي. قالت: «انه تهاز جميل، أليس كذلك؟» ونظر اليها ماتيو، شمة هالة من الجذ تحيط بها، أترى لم يخبرها احد ان الاهتمام بالنفس يعادل في أهميته الاهتمام بالآخرين؟ ربما هي بحاجة إلى من يساعدوا على التخلص من الشرقة التي حاظت بها نفسها طوال هذه السنين.

وقال: «انه نهار جميل، وكان جميلاً في الأسبوع الماضي كذلك، ولكننا نسينا ان نذكر ذلك في ذلك الحين،» وكان جميلاً أمس، أيضاً وتقول الأرصاد الجوية ان غداً سيكون جميلاً أيضاً.»

كان استغراق الآخرين غريباً على طبعه، ولكنه حين رأى التعبير في عينيها يتغير، شعر بالسرور، ان مارغريت حنجة إلى من يستقزها للخروج من شرنقتها هذه.

«انه كان يضحك عليها، وتوترت أساريرها وهو سأل تحوها قائلاً: «لقد جئت لأعذر اليك، يا مارغريت.» لسانه ببرودة: «تعذر؟»

«نعم، لأجل وصفي لك بالمسرفة، فقد كنت ظننت خطأ أن بإمكانك أن تساعدني عمك مادياً، ولكنك لا تريد ذلك، ما كان لي أن افترض أمراً كهذا، انني آسف»

أخنت مارغريت تحدق إليه وقد أثر في نفسها اعتذاره هذا أكثر مما أثر فيها أي شيء آخر من شخصه، ذلك أن اعتراف العرم بخطئه يستلزم شجاعة.

قالت له بتوتر: «هذا لا يهم» الذي رأيته مهماً هو أنه كان على صواب تماماً بالنسبة لكل الأشياء الأخرى التي قالها، فهي تريد فعلاً أن تدفع تيمى نحو عمل آمن.

وكان ماغنوم قرأ افكارها، قال: «هل وجدت وقتاً تفكرين فيه بذلك الحديث الذي كان دار بيننا الأسبوع الماضي؟»

فتأثر غضب مارغريت: «لم يكن ذلك حديثاً، فقد كنت تلقى عليّ سحاضرة وكنت أنا استمع، ولكن هذا لا يعني أنني وافقتك على كل ما قلت، انني لن أدعك تغسل لي بماغى، انني احب أخي كثيراً وأريد له الأصلح».

فقال: «وما الذي تظنينه الأصلح؟ لقد كانت عمك جانبك قالت أنك تعبين شقيقك إلى درجة لا تريد أن يلهيك شخص أو شيء عن واجبك نحوه، ما الذي تخططين له، يا مارغريت؟ أن تنتظري إلى أن يتزوج تيمى من فتاة تختاريتها له، وذلك قبل أن تفكري في مستقبلك؟»

جذبت مارغريت نفسها عميقاً، لم يكن هذا الرجل يحاول اتحام نفسه في شؤونها الخاصة فقط، وإنما قد أصبح في الوسط منها، وإذا كان الهجوم أفضل وسائل الدفاع، فقد سألته: «ألا تسبب لك إنشواتر السام البالغ، يا سيد ماغنوم؟ وهل هذا هو السبب في اهتمامك الشخصي بحياة كل شخص؟»

«ادعيني ماتيو، يا مارغريت، أن لإنشواتر صفات متعددة، ولكنني لا اعتبرها مثيرة للسام».

«وما الذي تعتبرها، إذن؟»

«انني احب العزلة، والجو الذي يبعدني عن كل شيء».

«ليس ثمة شيء تقوم به هنا».

«هل هذا السبب الذي يجعلك تعيشين بعيدة عن هنا مدة طويلة، يا مارغريت، باستثناء عطلة العيد القصيرة؟»

«الفعل هو الذي اجبرني على العيش بعيداً».

«هذا غريب، فالعمل بالضبط هو الذي جاء بي إلى هنا».

«إلى متى ستبقى في إنشواتر؟»

منحها ابتسامة وقال: «كان لهذا السؤال أن يثير الزهو في نفسي لو أن شيئاً من الكتابة فقط بدا عليك حين توجيهه».

قالت بجدية: «انني لست معنوية ساذجة يمكنك أن تعزيبها بكلامك المعسول، يا سيد ماغنوم».

نهض وهو ينظر إليها قائلاً: «هذا مؤسف، فمن المؤكد انني احب أن اغويك، يا مارغريت براونينغ، وأظن أن بإمكاننا نحن الاثنين، أن نتعلم كثيراً أثناء ذلك، إلى اللقاء».

وقبل أن تتمالك نفسها من الدهول، كان قد ذهب.

(من المؤكد انني احب أن اغويك، يا مارغريت براونينغ). جذبت نفسها عميقاً، لماذا ذلك... ذلك الذنب أترأه يظن أن بإمكانه أن يخدعها كما فعل مع تيمى..؟

وتساءل ماتيو بدوره عما إذا كان تجاوز الحد في المزاح والإغاطة، فقد هزته لمحة الخوف التي رآها في عينها حين قال تلك الجملة قبل أن يغادر المكان، مساعدته لمارغريت في أن تهتم بنفسها أولاً هو شيء

حسن، ولكن عليه ان ينتبه إلى أن لا يقع في الفخ الذي كان ينصبه، فقد كان في عينيهما شيء دخل قلبه بشكل لم يحدث له بالنسبة لأي أمر آخر.

بعد ذلك بيومين دخلت مارغريت المطعم عند الظهر، فألقت نظرة على جينا ثم قالت: «ماذا حدث، يا جينا؟»

كان لون وجهها اصفر شاحب بينما اصبحت يداها في برودة الثلج: «انه الصغير، يريد ان يخرج.»

حدثت مارغريت نفسها بان عليها ان تبقى هادئة، ثم سألتها: «هل انت واثقة من ذلك؟»

فاومأت جينا تقول: «لقد تملكني ألم خفيف طوال الصباح فاهملته لأن وقت ولايتي لم يحن بعد، ولكنه اشتد الآن بشكل واضح.»

فكانت مارغريت بلهجة آلية: «لا تقلقي، كل شيء سينتهي على خير، سأأخذك إلى المستشفى وأبقى معك إلى ان يأتي زوجك جاك.» والتفتت إلى الفتى خلف المتخدة، «نساء العمة جانيت يا بن.»

استلمت العمة جانيت العمل من جينا على الفور، وهي تلقي عليها بأسئلة عن الألم، بينما ركضت مارغريت إلى الخارج حيث سيارة الأسرة التي تستعمل في الخدمات، إذ من الأفضل ان تبدأ بتحريكها قبل ان تصعد اليها جينا، ذلك ان هذه السيارة القديمة ترفض الحركة احياناً، وعندما لم تتجاوب السيارة معها، أخذت مارغريت تستعجلها: «هيا.. هيا، لا تكوني عنيدة في هذا الوقت الحرج.»

«هل انت بحاجة إلى سيارة؟»

فأجابت: «انها جينا فهي تعاني آلام المخاض، والسيارة هذه

تأبى التحرك.» خرجت من السيارة وهي تقول: «أين سيارتك؟ هل يمكنك ان تأخذ جينا إلى المستشفى في غاريسون؟»

«انها هناك.»

كانت سيارة واقفة بجانب سيارتها، فقالت: «سأحضر اليك جينا.»

«ماذا؟ انني لن آخذ السيدة وحدها، يجب ان يكون معنا أحد في حال قررت الوضع في الطريق.»

فقالت بحدة وهي تهرع إلى الداخل: «سأتي أنا.» قالت العمة لهم وهي تساعد جينا في السير إلى السيارة:

«ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، فالألم متباعد بصورة حسنة، والطريق إلى غاريسون لا يتأخذ أكثر من عشر دقائق.»

جلست مارغريت في المقعد الخلفي بجانب جينا ثم أمسكت بيها محاولة تشجيعها: «انك ستصبحين على مايرام.»

أراحت جينا رأسها على مسند المقعد وأغمضت عينيها: «يا ليت جاك لم يكن خارج المدينة.»

فجمدت مارغريت في مكانها، هل تعني جينا ان زوجها لن يكون هنا للمساعدة؟ لم تكن عمتها ذكرت أي شخص آخر في

أسرة جينا، وهذا يعني أن مارغريت هي الملجأ الأخير.

الفصل الرابع

ألقي ماتيو نظرة على جينا من فوق كتفه، ثم سألها: «أين جاك؟»

كانت أنفاس جينا قد اتحست وموجة من الألم تكتسحها. كانت مارغريت تقول لها: «اجعلي أنفاسك قصيرة وسريعة». وكانت تأمل أن تكون ارشادتها هذه صائبة، وعلى كل حال فهذا ما كانت سمعت الناس يقولونه على شاشة التلفزيون. عندما ارتاحت جينا، عاد ماتيو يسألها: «هل تعلمين مكان زهاب جاك؟»

«بارستو إلى فيفاس».

«فهمت».

حدثت مارغريت إلى ماتيو من الخلف وهي تكافح كي لا تضربه. فهي تشك في أنه فهم شيئاً، إنه لم يفهم حاجة جينا إلى وجود زوجها بجانبها، كلا ولا رعبها من وجهها. كانت تريد أن تصرخ في وجهه أن هذا ما يحدث للرجال الذين يصبحون سائقي شاحنات. فأسرهم تتالم، وزوجاتهم خائفات وحيدات. والآن هل فهمت لماذا لا أريد هذا النوع من الحياة لتيمي؟

استمرت السيارة تنساب بهدوء في الطريق الذي يفصل بين انشواتر وغاريسون.

قالت جينا بصوت مشحون بالقلق: «إن الطفل مبكر عن مواعده، أرجو أن يكون صحيح الجسم».

فسألها ماتيو: «إلى أي حد هو مبكر؟»

أجاب بصوت مرشجف: «أسبوعان».

«ربما هناك خطأ في تاريخ الحمل، لقد حدث نفس الشيء».

بدأ صوته في أنثي مارغريت شديد الثقة، ولكنه ليس هو من يتالم، على كل حال.

كانت تدرك أنها أكثر الثلاثة عصبية وتوترأ، فهذه هي المرة الأولى التي ترى فيها امرأة في حالة وضع، لقد كانت شربت على مواجهة الطوارئ بهدوء. فبإمكانها أن تتعامل مع صراع التلاميذ في الملعب، مع خروج الركبة حتى الكسور في اليد، ولكن هذا... هذا كان شيئاً مختلفاً، ولم يكن لديها فكرة عن نوع المساعدة التي عليها أن تقدمها إلى جينا.

نظرت مارغريت في عيني ماتيو مباشرة، وبابتسامة سيرة بالثقة غمز لها بعينه في المرأة أمامه.

حتى رآك الطيب لآخر مرة يا جينا؟»

كان لهدوء ماتيو تأثير حسن على جينا، فابتسمت كسيرة: «لقد رأيت الدكتور ريدي الخميس الماضي، فقال إن كل شيء جيد جداً».

قال يطمئنها: «أرأيت؟ لا شيء يدعو إلى القلق».

طلعت جينا فجأة: «آه، كلا، لقد نسيت أن أحضر من بيتي حقيبة ملابس وملايس المثل».

ساحضرهما لك بعد أن تستقري في المستشفى».

انزلت السيارة عند باب الطوارئ وقال: «انتظروا هنا إلى أن أجد شخصاً يحضر كرسيّاً ذا عجلات».

حلاً ماتيو أوراق النحول تبعاً لما أخذت جينا تزوده به

من معلومات، ومن ثم نقلت جينا بالكروسي إلى الداخل ومارغريت تهوول بجانبها وقد استبد بها القلق. بينما قرر ماتيو أن يذهب لاجتماع الحقيقتين والعودة بهما بسرعة إذ ساوره احساس بأن الصراحتين ستكونان بحاجة إليه في الساعات القليلة المقبلة.

تقدمت منهما ممرضة، فشدت جينا بقبضتها على يد مارغريت: «لا تتركيني».

«كلا طبعاً.» وغاص قلب مارغريت رغم أن لهجتها بقيت مرحة. كانت لديها فكرة هي أن جينا تريد أن تبقى بجانبها إلى النهاية، ليس في غرفة الانتظار، بل بجانبها هنا.

انتظرت في الردهة ريثما يفرغ الطبيب من فحص جينا وهي تتسائل إلى أين ذهب ماتيو.

«يحتمل أن تدخل الآن».

قدخلت مارغريت الغرفة. وكان يبدو على جينا، وهي مرتدية ثياب المستشفى، الخوف، ولكنها استطاعت أن تنظر إليها بابتسامة مرتجفة وهي تقول: «يقول الدكتور ريدي إن الوضع سيكون بعد حوالي الأربع ساعات».

فقال مارغريت، مستعينة ببعض الثقة التي كانت استعارتها من ماتيو: «حسناً، لا أظنهم سيسمحون لي بالبقاء إذا هم عرفوا مقدار جهلي بهذه الأمور».

فقال جينا: «لقد كان جاك قد حضر دروساً معي لمعرفة ما علينا أن نفعل في مثل حالتني، ذلك أننا كنا قد خططنا لتكون معاً عندما يحين وقت الوضع، فقد تقدم بطلب إجازة أسبوعين في آخر هذا الشهر».

فقال مارغريت مرغمة صوتها على البقاء مرحاً: «إن

استعدادك الجيد لحضور الطفل هو أمر حسن.» ولكن قلبها كان يتألم لأجل هذه المرأة الصغيرة، فقد كان على جاك أن يكون مع جينا وليس هي بجعلها هذا وعدم استعدادها.

لم تكن مستعدين في الحقيقة، خصوصاً في البداية. فأنا وجاك، كما تعلمين، قد تزوجنا أثناء سنتنا الأخيرة في المدرسة. وكنا خائفين لأننا كنا دون مال ولا عمل ولا شيء على الإطلاق، لقد كررنا العيش مع أهلي، ثم نصحبنا البعض

بالبحث عن عمل في انشواتر، فوجدت بالحافلة ذات يوم بعد أن ذهب جاك للقيام بمقابلة بشأن عمل. ولحسن الحظ قبلتني صحتك جانبيت على الفور عندها بصفة مساعدة في المطبخ.

لقد كنت شديدة الخوف من أن أخبرها أنني متزوجة خوفاً من أن لا تقبلني في العمل عندها، ولكن جانبيت، بدلاً من ذلك، أعطتني رسالة توصية بجاك ليأخذها إلى شحن يدوين.

وكان ماتيو في المدينة في زيارة قصيرة، فقابلته وأعطاه العمل حتى أنه دفع لجاك نفقات دخول مدرسة قيادة الشاحنات في بارستو. كان الأمر أشبه بالحلم، إذ فجأة أصبح لدينا كل شيء، المال، والعمل، والضمان الصحي، وأحسن شيء هو أننا وجدنا مكاناً نسكن فيه في انشواتر.

«كنتي مسرورة لتحوّل أموركما بهذا الشكل الجيد».

فقال جينا بنجد: «ليس كل المراقبين محظوظين بهذا الشكل، لقد عدت إلى مدرستي في غاريسون حيث ألقيت محاضرة على التلاميذ شاركهم فيها بقصتي، ياليت كان بعض قد أطلعنا على الحقائق بنفس الطريقة التي أطلعهم عليها. فالحب وحده لا يكفي لمواجهة الحياة إلا إذا كان لك العلم ووسائل العيش».

وسكنت جينا تسال مارغريت: «هل ضجرت من كلامي؟» هزت هذه رأسها نفيًا، فالحديث كان أفضل من الصمت في انتظار الوضع.

قالت جينا والتصميم في عينيها: «إنني سأتابع دراستي لأحصل على شهادتي الثانوية وذلك بعد الولادة، وبعد ذلك سأدرس مهنة السكرتارية. لن أدع أولادي يقفون عائقاً في سبيل الحصول على شهادتي الثانوية.»

قالت هذا ومالت إلى الأمام، بعد أن فاجأها ألم آخر، وهي تتأوه، فأخذت مارغريت تدعك لها ظهرها متمنية لو تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك. لقد كانت الممرضة طلبت منهما تروقيت تتابع الألم. وهكذا نظرت في ساعتها، وكانت الثانية والربع. العرة التالية جاءت بعد ربع ساعة. وكانت قد انتهت لتوها عندما دخلت الممرضة وهي تسال ببساطة: «كيف الحال؟» أجابت مارغريت بضعف: «ربع ساعة بين الاثنين.»

«هذا حسن.» وتقدمت الممرضة تمسك بمعصم جينا تقبض النبض، ثم نظرت إلى مارغريت قائلة: «السيد الذي أحضركما إلى هنا هو في الخارج ويريد رؤيتك.»

فقالت جينا: «ماتيو.» وعلى الفور، لاحظ ماتيو مبلغ شحوب مارغريت. قال باسمًا: «لقد أحضرت حاجيات جينا، كي حالها؟» «في منتهى الألم، ولا أعرف ما أفعل لها.»

«يمكنني أن أساعدها.» «أنت؟» وأدهشه الغضب في عينيها وهي تنظر إليه. «لا تقل بأن إدارة امبراطورية شحن يترك لك وقتاً لتعلم فيه التوليد أيضاً.»

فقال بهدوء: «الأمر بسيط، فقد ذهبت مع شقيقتي سوزان لحضور دروس في التوليد لأن زوجها الذي يخدم في الجيش كان غائباً في عمله.»

وإذ خرجت الممرضة من الغرفة، قالت مارغريت: «علني أن أعود إلى جينا.»

فقالت الممرضة: «لقد أخبرتني أن ترتاح فترة، لماذا لا تذهبان فتاكلان شيئاً قبل أن تعودا إلى هنا؟ إنني سأرافقهما في تلفزيون مراقبة المرضى في مكتب الممرضات.»

نظرت مارغريت إلى الغرفة مترددة: «لا أريد أن أتركها.» فقال ماتيو يطمئنهما: «ستكون على ما يرام، وبعد أن تأكل سأدخل معك إلى غرفتها.»

فقالت الممرضة: «يمكنكما أن تكونا معاً في الداخل الآن، ولكن فيما بعد لن يسمح الطبيب إلا لواحد بأن يكون معها في غرفة الولادة، سأترك أناثوباً وقلنسوة وكمامة في الخارج.» جمعت مارغريت في مكانها وهي تسمع ضحكة ماتيو وهو يقول: «إنني أدرك مقدار رغبتك في أن تكوني موجودة معها، يا مارغريت، كفك إظهار هذا القلق. إننا سنلقي قطعة قهوة في الهواء مقترعين على من يدخل إليها ولكن بعد أن نكمل أولاً.»

يبدو أنه كان يعرف المكان لأنه أخذها مباشرة إلى حيث كاتيتيريا المستشفى. وكانت هي تفكر بعجب كيف أن هذا الرجل يعرف كل مكان وكل شخص.

قال ماتيو وهو ينظر إلى اللوح الملتصق على الجدار: «الطبق اليومى هو الروستو، ويأتي بعد ذلك السمك والبطاطا المقلية، ثم الدجاج.»

لم تكن مارغريت قد تناولت طعاماً منذ الصباح، ولكنها لم تكن جائعة، فتناولت ابريق الكاكاو قاشقة: «هذا كل ما أريده الآن».

فقال عايساً: «ستشعرين بتحسن إذا أكلت شيئاً».

«سأكل فيما بعد» عندما ينتهي كل شيء. عندما نتأكد من أنها لن تصبح سخرية للآخرين بالإغضاء أو التقوي. وحملت كوب الكاكاو وتحولت إلى المحاسبة لتدفع الثمن، وسرعان ما تذكرت أنها لا تحمل حقيبة يد. فتملكها الذعر والتفتت إلى ماتيو: «ليس لدي نقود».

«إن لدي ما يكفي من الاثنين».

وإذ وقعت عيناها على مائدة خالية قرب النافذة، أسرعت إليها حيث جلست محاولة أن تبعد المسافة بينها وبينه قدر المستطاع.

«مرحباً، يا مارغريت».

وقعت بصرها فرأت جو غريتر في معطفه المهني الملويح ما بدا معه مختلفاً جداً عن جو القديم زميلها في الثانوية.

«جو، ما أجمل أن أراك. ألا تجلس معنا؟»

وكان هذا حلاً ممتازاً، فإن عفوية جو كفيلة بأن تبذل أي توتر في الجو، سواء كان حقيقياً أم خيالياً، وذلك بيتها وبين ماتيو ماغنوم.

ساورها شعور بأن ماتيو خلقها، فتابعته تقول: «اضطربنا، أنا والسيد ماغنوم، لاحتضار امرأة إلى المستشفى، إنها في المخاض».

«مرحباً يا ماتيو». وانتظر جو إلى أن وضع ماتيو الصينية على المائدة، ثم تصافحا.

قال جو: «هل المرأة التي أحضرتموها للولادة هي جينا؟» فسألته مارغريت بدهشة: «هل تعرف جينا؟»

«إن جينا وجاك مستأجران الشقة العليا عندي. ولكنني سأنقل إلى مكانهما وأعطيتهما الشقة السفلى حيث أنها ستضع طفلها». ثم وقف وهو يتابع: «أرى أن أصدق وأجلس معها فترة، ولهذا لا تسرعا بتناول طعامكما».

قابضت مارغريت: «شكراً يا جو».

عندما ذهب، سألتها ماتيو: «هل تعرفين جو منذ مدة طويلة؟» وعجب لاهتمامه لمعرفة جوابها.

فأجابت: «طوال حياتي، فقد كنا في المدرسة معاً».

«هل بينكما حب؟»

قوضعت كوبها بعنف: «صانداً قلت؟»

أجاب بهدوء: «القصة المعروفة في المدرسة الثانوية يلتقي الأحاب، ثم تشتعل العواطف».

فقالت بعده: «هذا ليس من شأنك».

«كنت فقط أتساءل عما يجعل جو يسكن في انشواتر».

وعلى الفور، اندفعت تدافع عن جو: «إن جو هو شخص رائع، فهو سهل المعشر، مستعد على الدوام لإصلاح سيارة أي إنسان، ودوماً على استعداد لمُد يد المساعدة، ولكن كونه راضياً بالعيش في انشواتر لا يعني أنه إنسان قاسٍ».

فقال ماتيو: «لا حاجة بك لهذا الكلام، يا مارغريت».

«كانني أهاجمه، فانا أحب جو غرينتز».

«تحبه؟»

«الذي يجعلك تظنين أنني أشعر بأن كل من يختار العيش في انشواتر هو إنسان قاسٍ؟ فالنجاح ليس في اكتساب

الملايين أو في رضا العالم عنه، إنما في الرضى عن النفس والقناعة، وجو يعيش مسالماً للعالم أجمع لأنه يحتوي على هاتين الصفتين، كثير من الناس يدفعون نفورهم للأطباء النفسيين لكي يعلموهم كيف يسرون في حياتهم».

«آه...» وبعثت كلمات ماتييو هذه الهدوء في نفسها. قالت بعد لحظة: «ولماذا هذا الحديث عن جو؟»

فنظر ماتييو إليها، إن الحافز الذي يدفعه إلى تنبيهها إلى أن لديها حياتها الخاصة التي عليها أن تعيشها، قد أصبح أقوى مما كان، أكد لنفسه أن هذا فقط لأجل تيمى. رافضاً التفكير في الأسباب الأخرى والأكثر عمقاً.

أجاب: «إنني فقط أريد أن أتأكد من أنني لا أراحم أحداً...» «ماذا تعني بذلك؟» ورفعت كويها إلى شفتيها رغبة في الاختفاء من عنف نظراته.

«أعني أنني أريد أن أعازلك».

صدمت مارغريت بكلامه هذا، وجعلها هذا تتح بعد أن نزل الكاكاو في غير مكانه الطبيعي: «ماذا قلت؟»

مضغ طعامه قبل أن يقول بهدوء: «إنك فتاة قديمة الطراز يا مارغريت ولهذا قررت مغازلتك على الطريقة القديمة».

فعاثت تتح مرة أخرى، فقال بركة: «اشربي شيئاً من الصاء، نعم يا مارغريت، لقد كان أول رأيي عليك خاطئاً، لا أظن علاقة غرامية تناسبك، ولهذا قررت مغازلتك».

إنه يسخر منها مرة أخرى... يقيظها، واشتعل غضبها. طمأناً أنتم الرجال متعصبون...»

«مطلوب من الأنسة براونينغ... مارغريت براونينغ، أن تعود إلى قسم الولادة».

واخترق ذلك الصوت الهادي غضبها الملتهب فاندفعت إلى الباب قبل أن تدرك أنه بجانبها، فالتفت إليه بسرعة: «لا ضرورة لمعجيتك، تابع تناول طعامك».

قال وهو يسير بجانبها: «سأكل فيما بعد، لقد كنت أخبرتك بأنني كنت تلقيت دروساً في التوليد، ويمكنني المساعدة» وقالت لهما الممرضة عند باب غرفة جينا: «إن جينا تشعر ببعض التوتر، ولدينا امرأتان على وشك الولادة في أي وقت، ولتقص الممرضات عندما لا يمكنني أن أجعل عندها ممرضة خاصة تلازمها. وهذا هو السبب في ندائي لك...» فقال مارغريت: «شكراً».

«إنني كنت أخذت دروساً في التوليد مع أختي السنة الماضية، فإذا كان بالإمكان...» وتلاشت الأصوات عندما دخلت مارغريت الغرفة مغلقة الباب خلفها.

وقف جو وقد بدا الارتياح على وجهه: «ها هي ذي مارغريت هنا».

نظرت إليها جينا بعينين مدعورتين: «تقول الممرضة أنه ما يزال أمامي ساعتان تقريباً».

فقالت مارغريت وهي تلتقط خرقة مبللة أخذت تمسح بها وجه جينا وعنقها وذلك بينين ترتجفان قليلاً: «لقد قرأت مقالة تقول إن الأم التي تلد للمرة الأولى، تأخذ وقتاً أطول من غيرها».

قال جو وهو يخرج من الغرفة بسرعة: «سأراك فيما بعد، لا تضحكا كثيراً، ولولا نداء العمل لبقيت معكما».

أصلحت مارغريت من وسادة جينا وهي تقول باسمه: «إن حالك أحسن كثيراً».

«جينا، هل سبق وأخبرتكَ عن الوقت الذي اكتشفت فيه أختي سوزان أنها كانت حاملاً؟» كان ماثيو قد دخل الغرفة بكل ثقة وسيطر على الموقف وهو يقف في الجانب الآخر من سرير جينا.

ولم تملك مارغريت سوى الاعتراف بأن بعض ثوبتها قد فارقها لمجرد وجوده.

أجابته جينا: «كلا».

«كان بيت، صهري، قد عينه الجيش في الخارج في نفس الوقت الذي اكتشفت فيه سوزان أنها حامل، فخبرته في الحال طالبة منه القدوم على الفور. لم يكن ثمة طريقة تجعلها تقبل الولادة وحدها، وعندما أخبرها بيت أنه لن يتمكن مطلقاً من ذلك، جلست سوزان وكتبت رسالة مؤلفة من خمس صفحات إلى مكتب القيادة تخبره برأيها في القوانين التي تفرض على زوجين أن يكونا مفترقين في حالة كهذه. فإذا لم يرسل بيت إلى بيته في إجازة لأن زوجته ستضع، فهي ستذهب إلى هناك لتضع طفلها هذا.» فانفجرت جينا ضاحكة، وابتمسم ماثيو، بينما اضطرت مارغريت إلى الإشاحة بوجهها بعيداً عن تلك القمارة العميقة في ذقنه.

وتابع هو يقول برزانة: «وأخيراً اعتادت على وضعها كحامل، ولكن هذا استغرق تسعة أشهر كاملة، ومن حسن حظ سوزان، وباتريسيا، أختي الثانية، وحظي أن بيت جاء قبل شهر كامل من موعد الولادة.»

صرخت جينا وهي تميل إلى الأمام: «أوووه...» وقبل أن تتمكن مارغريت من الحركة، كان ماثيو قد وضع ذراعه

حول كتفها: «استرخي الآن، خذي أنفاساً قصيرة، واحد، ثنان، ثلاثة، أربعة، والآن، مرة أخرى، إنك رائعة.» ودخلت الممرضة تقول إنها تريد أن تبقى عدة دقائق وحدها مع جينا.

«ها نحن خارجان حالاً.» خرجت من الباب يتبعها ماثيو، وعندما سمعته يغلق خلفهما، استدارت إليه تقول: «لو لم يكن جاك سائق شاحنة لكان هنا الآن.»

«ولكن هناك أعمال كثيرة تمنع الرجال من أن يكونوا مع زوجاتهم في الأوقات المهمة، ماذا بالنسبة إلى قوات الجيش؟» ترددت قولها بعناد: «كان بإمكان جاك أن يكون هنا، فهو لا يدافع عن الوطن أو عن حقوق الإنسان، وإنما فقط يقود شاحنة غبية في مكان ما.» لقد عاد إليها كل شيء... ألهم القديم والصرارة. عندما وقعت في طفولتها وخطبت ركبتيها ثلاث قطبات، ولم يكن والداهما موجودين، تلك الليلة التي ألهمت فيها الحصى نابت والديها لكي يضعاها. أحياناً كانت أمها في البيت ولكنها كانت تخرج مع أبيها كلما سمحت لها الفرصة.

«أتظنين أن جينا كانت تفضل وجود زوج بجانبها دون عمل أو مال، أم زوج يستطيع توفير كل شيء لها ولطفلها، ولكنه لا يستطيع أن يكون دوماً بجانبها؟»

كان الحق معه طبعاً، وإذا لم تستطع أن تقول شيئاً، فقد كانت على الجدار بكل بساطة، إنها تريد أن توفر قوتها لما سيأتي، أغضبت عينيها مرغمة نفسها على التنفس بعمق، مسائلة أن تستعيد صورة ذهنية واضحة ولكن كل ما استطاعت رؤيته هو وجه جينا متقلصاً من الألم.

قال ماتيو: «إنها نيران مشتعلة، ولا أدري إذا كانت تكمن فقط في شعرك..»

فتحت عينيها فجأة وإذا بها تراه يفرك خصلة من شعرها بين أصبعيه.

وعندما تلاقت نظراتهما، شعر ماتيو بتيار كهربائي يجري بينهما، وأنباء الذعر البادي في عينيها أنها شعرت به هي أيضاً. قد لا تكون تريده، ولكنه كان موجوداً حتماً. «إنك تحاولين الظهور وكأنك مسيطرة دوماً على أعصابك، أليس كذلك يا مارغريت؟ ولكن عينيك وشعرك يفضحانك، فالعينان تقولان بأن الحنكة التي تتظاهرين بها إن هي إلا سطحية جداً، بينما شعرك يدل على نيران تضطرم في نفسك..»

فتح الباب وقالت الممرضة: «يمكنكما الدخول الآن، إنها بأحسن حال..»

«السيد ماغنوم!»

التفتت مارغريت وإذا بها ترى شاب يسرع في ممز المستشفى نحوهما ثم يقبض على اليد القوية التي امتدت إليه: «كيف حال جينا؟»

حدثت مارغريت إلى القادم، لا بد أن هذا هو زوج جينا، من أين تراه جاء؟

أجابه ماتيو وهو يفتح له باب الغرفة: «إنها في أحسن حال، انظر بنفسك..»

لدخل جاك والممرضة تسال: «أهو الزوج؟»

فأوما ماتيو برأسه: «نعم..»

وسمعا جينا تهتف: «جاك... أوه، جاك..»

«هل أنت بخير يا حبيبتي؟»

أغلق ماتيو ماغنوم الباب برفق، تاركاً الزوجين وحدهما.

وابتسمت الممرضة لهما: «والآن، أي أعجوبة حصلت؟ سأقي هذه المدينة تحب النهايات السعيدة..»

وعندما ابتعدت، سألت مارغريت ماتيو: «كيف جاء؟»

لقد خابرت موقف الشاحنات، فأتصل الرجال بالإذاعة المحلية التي خابرت بالراديو، وأظن رغم أنني غير واثق، أن قائد شاحنة آخر لا بد عرض عليه أن يوصله عائداً إلى هنا، أرجو أن لا تكوني أصبت بخيبة أمل شديدة لأن مساعدتك لم تعد ضرورية..»

حدثت في ماتيو، متجاهلة المزاح في عينيها: «وماذا بالنسبة إلى شاحنة جاك؟»

«أوقفت في مكان ما بأمان إلى أن يصل إليها سائق آخر..»

«وماذا بالنسبة إلى جدول مواعيده؟ ألا يتأخر ويدفع حريصاً عن ذلك إذا هو لم يصل في موعده؟»

«ما هذا التغيير المفاجيء في مشاعرك؟»

«قد لا يعجبني كون جاك سائقاً، ولكن أمره يهمني حقته شخصاً. إنه قد يخسر عمله الجديد الآن، وبعد أن أصبح لديه مسؤولية طفل..»

«كني قلقاً، يا مارغريت، فجاك لن يعاني من شيء، فإذا كنت أتي أسئلة فهي موجهة إلى شحن بدوين وليس إلى سائقين، ولا بد أن أحد رجالتي قد استلم الأمر الآن سيقوم بعمل جاك عنه..»

«كيف؟»

«إنه سيذهب في أي شاحنة ذاهبة في ذلك الاتجاه، ثم ينزل بجانب شاحنة جاك ويكمل الطريق عنه.»

«ألا تمنع أنت في تركه لشاحنته بذلك الشكل؟»

«ولماذا أمانع؟ فالرجل لا يستطيع حضور ولادة طفله كل يوم. وولادة هذا الطفل ستعلن من الإذاعة المحلية قبل أن يطلع الصباح. فنحن السائقون متعاونون تماماً. وأراهم الآن على أن هناك تهاني كثيرة أرسلت إلى جاك وجينا على أمواج الأثير.»

سألته: «ما الذي جعلك تسمي شركتك شحن بدوين؟»

لم تكن تتوقع أن ترى ما ارتسم في عيني ماتيو من تعبير مظالم، «لقد أطلقت على شركتي اسم الرجل الذي قلب حياتي رأساً على عقب.»

قأومات مارغريت برأسها، مدركة أنه لا يريد أن يتحدث عن هذا الموضوع أكثر من ذلك.

سألها بعد صمت قصير: «ماذا ستفعلين الآن بعد أن لم يعودا بحاجة إلى خدماتنا.»

نظرت مارغريت في ساعتها. كانت الساعة الرابعة تقريباً. فإذا كانت تكهنتات المعرصة صادقة، فالطفل لم يولد قبل السادسة. وقررت أن تبقى في هذا المكان إلى ذلك الوقت. فقالت: «إنني صاعدة إلى الطابق العلوي لزيارة صديقة لي تعمل في مكتب الاستقبال. لقد كانت هيلين سواتشي زميلتي في نفس المدرسة. لا تتفكرني فسيوصلني جو إلى البيت.»

قأوماً قائلاً: «هذا حسن.»

في المصعد، حاولت مارغريت أن تستشف شخصية ماتيو ماغنوم الحقيقية، فقد رأت عدة جوانب منه هذا النهار. روح الفكاهة، وذلك بإغاضته لها مازحاً، وما حكاها عن شقيقته، الرقة وذلك بمساعدته جينا على اجتياز آلامها، تفهم مخاوفها هي ولا سيما رغبته في أن تنتبه إلى نفسها واحتياجاتها، وأن تنتبه إلى حياتها قبل أن يفوت الأوان. تنفست مارغريت بعشق، كان ماتيو ماغنوم أشبه بتيار قوي جعلها تشعر بنفسها ملتصقة به بالرغم عنها. وفتح باب المصعد، فحدثت مارغريت ذاهلة قبل أن تترك أنه الطابق الذي تقصد، فاستجمعت أفكارها المشتتة، ثم توجهت إلى المكتب الذي تعمل فيه صديقتها.

بعد ساعة ونصف، دخلت مارغريت غرفة الانتظار وما لبثت أن وقفت فجأة، فقد نهض ماتيو ماغنوم من على الأريكة الجلدية التي كان جالساً عليها، وقال: «ها أنت ذي جئت.» قال ذلك وكأنها كانت طلبت منه أن ينتظرها. فقالت بحدة، شاعرة بالغضب لدى رؤيته: «نعم، كيف حال جينا؟»

«لقد انتهى كل شيء. وضعت طفلة أنثى، وهي في الغرفة رقم ١١٠.»

قالت بعدت وهي تقول: «سأذهب لرؤيتها.»

أوقفتها يد استقرت على كتفها: «ليس وأنت في مثل هذا المزاج. ماذا حدث؟ تبدين كالسحاب المنقل بالرعد.»

فقالت وهي تتمالك نفسها: «لا شيء، لماذا ما زلت هنا؟»

وتساءل ماتيو عن السبب الذي يجعلها مثوثة دوماً معه.

«أنا ببساطة: «كنت في انتظارك، لأن جو يقوم بدوامين،

وهكذا لن يكون بإمكانك العودة معه بسيارته قبل صباح الغد». فقالت بحدة: «إنني أعرف كيف أعود إلى البيت». فتساءل كم مضي من الوقت على آخر مرة سمحت مارغريت فيها لأحد بأن يهتم بها. أدارها نحو الباب، ثم أطلقها قاتلاً: «أذهبى وزوري جينا، فقد تتحسن لرؤيتك».

طرقت مارغريت الباب وبخلت. كان الارهاق يبدو على جينا واضحاً، ولكن عينيها كانتا تتألقان بالسعادة، وكان جاك جالساً على السرير بجانبها وهو يبتسم زهواً: «تهانئى إليكما».

«هذا هو زوجي جاك، يا مارغريت، جاك هذه مارغريت ابنة أخ جانيت والتي كنت حدثتك عنها. هل رأيت اينتا ميكي يا مارغريت؟»

«كلا». وانحنت تقبل وجعة جينا.

قال جاك بزهو: «إنها رائعة، ثلاثة كيلو غرام ونصف، أشكرك لمكوثك بجانب جينا».

فقالت: «ولكنني لم أفعل لها شيئاً، في الواقع، كنت خائفة أكثر من جينا».

قالت جينا بإسعة: «كنت أعرف أنك كنت كذلك ولكنك ساعدتني كثيراً، فصعقتني بأنك كنت خائفة وضع ذلك لم تتركيني، جعلتني أشعر بتحسن كبير، فقد كان خوفاً من الوحدة أكثر مما كان من الألم».

تحدثا قليلاً بعد ذلك قبل أن تخرج مارغريت، وخارج غرفة الأطفال، توقفت وأخذت تنظر إلى يهود المواليد الجدد من خلف الزجاج، والتي كانت مصفوفة بجانب

نافذة. أربعة ذكور وأنثى واحدة. كانت ميكي في مكان شرف في الوسط، في مهد وردي. حذقت مارغريت إلى جلد الفاعم والشعر الخفيف الأسود، وشبهت تهم بالبكاء، جاءها صوت من خلفها: «شيء رائع، أليس كذلك؟» «سأذا؟» كيف يسمي ماتييو ماغنوم أجمل طفلة في العالم، هي؟

وعاد يقول: «أعني جمال الخلق هذا».

فاستدارت نحوه مذهوثة، وقد حيرها حسن اختياره لكلمات، وعندما التقت نظراتهما شعرت بالتوتر بتملكها، ولمعت عينا ماتييو بنفس الشعور، لقد أصبحا، ولثوان شبة، رجلاً وامرأة تساورهما رغبة واحدة.

سمعتة يقول لها وقد لمعت عيناه مكرراً: «فلتخرج قبل أن يحسن المستشفى أننا مقيمان هنا بصورة دائمة ويطلبون منا دفع أجرة لذلك».

الفصل الخامس

تسأل ماثيو ماغنوم، وهو يعمل في مكتبه متأخراً في تلك الليلة، عما يجعل مارغريت لا تبارح خياله. فهذا لم يكن جزءاً من خطته. وحاول أن يحلل سبب شعوره هذا. وأخيراً نبذها من ذهنه معتبراً إياها نزوة عابرة نتيجة الأحداث التي رافقت ولادة الطفلة، ثم حاول أن يركز انتباهه على الكمبيوتر أمامه.

خرجت مارغريت في الصباح التالي في نفس الوقت الذي كان تيمى فيه خارجاً من غرفته.

«مرحباً.» حيث مارغريت بذلك وهي تلاحظ جرح حلالة ضئيل على وجنة شقيقها، وكان شعره مبتلاً.

«صباح الخير.»

ابتسمت مارغريت، فهي وعمتها تستيقظان باكراً عادة. وذلك بعكس تيمى.

اثناء هبوطهما السلم، سألته: «كيف كان العمل أمس؟»

«لا بأس.»

«أتحب أن تخرج للتسوق اليوم بعد فراغك من العمل.» وتجاهلت اللمحة الحذرة في صوته. لقد كانت لاحظت أن ينطوئه الجينز قد أصبح رثاً للغاية، كما أن قمصانه تكشف عن معصميه النحيلتين، وكانت تتابع قائلة: «يمكننا التسوق في غاريسون، وقد نتوقف للرعى غيلماً ثم نتناول شيئاً نأكله.»

«لا استطيع.» ان السيد ماغنوم يريد أن يريني هذه الليلة

كيف أغير إطار عجلة الشاحنة. أراك فيها بعد يا مارغريت.» وقبل أن تسأله عما يريد أن يأكل، كان قد خرج فأخذت تحدد في أثره بجمود وقد سرت في كيانها قشعيرة باردة، ما الذي يحدث بينهما؟ ان تيمى لم يكذب ينظر إليها.

دخلت المطبخ وقد قررت أن لا تقلق عمها بذكر تصرف تيمى الغريب، أن عليها أن تتفاهم جدياً مع تيمى في أقرب وقت ممكن، وتجعله يفهم سبب خوفها عليه من عمله الجديد. كانت تعلم أن اقناعه واستمالته إليها، لن يكون عملاً سهلاً، خصوصاً وماثيو ماغنوم ثابت بجانبه.

وفي طريقها إلى المستشفى ذلك المساء لكي تزور جينا أخذت تفكر في كل ما حدث منذ اليوم الأول لإجازتها، كان عليها أن تعثر على طريقة تجتمع فيها مع تيمى بالرغم من ماثيو ماغنوم.

دهشت جينا لدى رؤية مارغريت، وقالت محتجة: «ما شأن عليك أن تأتي.»

فأجابته مارغريت: «لكنني أريد ذلك.» وكان جاك قد توقف عند المطعم هذا الصباح ليخبر العمه جانيت ومارغريت بأن جينا لن تخرج من المستشفى هذا النهار كما كان مقرراً وذلك بسبب ارتفاع ضغطها، ما جعل الطبيب يقرر إبقائها طوال عطلة الأسبوع.

سألتها جينا باسمه: «هل يعجبك العمل في المطعم؟» فأجابته مارغريت بمرح: «لقد استأجرت عمتي موظفتين لسي، وهكذا عدت أنا دون عمل الآن، ان العرايتين هما زوجتا سائقي شاحنات. ويبدو أن ماثيو هو الذي أرسلهما، قد ساعدتها في جرد قائمة الأطباق هذا النهار، ولكنني

أظنها أعطتني تلك المهمة فقط لكي أشعر بأنهم بحاجة إلي كيف حالك؟ هل اشتقت إلى بيتك؟

قأومات جينا باسمه: «تعلمين أن جو قد أعطانا المطابق الأسفل من منزله؟ أليست هذه شهامة منه؟ قال أن ذلك أكثر أمناً بالنسبة للطفلة وأقل إرهاقاً لي، كما أن السيد ماغنوم كان رائعاً هو أيضاً، فقد أعاد جاك إلي وإلى ميكي».

سألتها مارغريت بسرعة: «وأين جاك؟»

بنت على وجه جينا مسحة قلق وهي تقول: «لقد مر جاك بي لحظة قصيرة هذا الصباح إذ أن عليه أن يذهب إلى لاس فيغاس هذا المساء ومن هناك سيتابع إلى فينيكس، أنه سيعود بعد غد، ومن ثم يبدأ إجازته، لقد نظف الشقة ونقل كرثائنا إليها، وذلك قبل ذهابنا أنا وميكي، ولكن هذه لم تكن رغبتني، فقد كنت اخترت دهاناً لغرفة ميكي من محل جنس غارديوير».

تناولت مارغريت الطفلة من والدتها وأخذت تربت علي ظهرها، وعند ذلك خاطرت في بالها فكرة، أنها ستدع من غرفة ميكي بنفسها، وسيكون في هذا هدية الولادة منها للطفلة. قالت جينا: «لقد كان جاك يتحدث مع أحد السائقين الذين عملوا مع شركة شحن بدوين منذ انشائها، هل تعلمين أن السيد ماغنوم هو مليونير؟ من كان يظنه بهذه الأهمية أعني أنه لا يتعالى علينا أو يظهر سلطته».

فألت مارغريت: «لم تكن أعلم أنه بهذا الثراء، لا بد أن العمل في الشحن مربح جداً».

أومأت جينا برأسها: «ليس هذا فقط، فقد ورث أموالاً عن والده، فأسرته تملك شركة سفن».

بعد ذلك بنصف ساعة، نهضت مارغريت قائلة: «علي أن أذهب الآن، فسيارتنا معطلة وقد جئت في الحافلة».

«وكيف ستعودين؟»

«بنفس الطريقة التي جئت بها، الحافلة».

كانت أفكارها منحصرة في ما قالت جينا، لم تستطع أن تصور ماتيو ماغنوم مليونيراً، وفكرت في ملايسه، وتصرفاته، حتى محققة نقوده الرثة، كل ذلك يشير إلى أنه رجل عادي تماماً.

«مرحباً، مارغريت».

التفت لتجد نفسها تنظر مباشرة في زوج من الأعين الخضراء الساخرة، وحدثت نفسها بأن الاضطراب الذي تسببها لدى رؤيته ما هو الا نتيجة لظهوره المفاجيء أمامها. كان ماتيو يحمل ثبته ضخمه في أصيص، ويبدو أنه كان في انتظار المصعد الذي كانت خرجت منه لتوها.

قال لها: «هل تسمحين بدقيقة؟»

سألته: «ماذا تريد؟»

«لقد قالت عمك أنك لن تقومين بشيء في المطعم الآن بعد استأجرت امرأتين، وأنا بحاجة إلي من يساعدني في تكيم بعض الملفات، فهل تحبين أن تقوضي بوظيفة مؤقتة؟»

«لا أظنك جاداً فيما تقول».

«هل أنا جاد، فأنت عادة تعملين اثناء الصيف وأنا لذي رخصة شاغرة في المكتب».

صحبت مارغريت لعدم استطاعة ماتيو تفهم مدى حاجتها للشحن وما يتعلق به، فقالت: «ربما أنت لا تفكر في لا أريد التعامل مع الشحن، لا أريد ذلك أبداً».

فقال بإصرار: «إن هذا يمنحك فرصة ثرين فيها كيف يسير العمل، وبالتالي سرعان ما تزين أن لا شيء هناك يحمل على الخوف».

فرفعت رأسها تقول بحزم: «لن اشتغل عندك كما انتهي لا أريد أن اغير قناعتي بالنسبة للشحن».

نظر ماتيو إليها، ثم هز كتفيه: «حتى ولا تجربة بسيطة لأجل جانيث وتيمي؟»

ثم أشاح بوجهه تاركاً مارغريت شاعرة بأنها طفلة في الثالثة قد أبدت ثورة غضب مفاجئة لا معنى لها، وخرجت من المستشفى وهي تعض شفتها غضباً، في كل مرة تصادف فيها ماتيو ماغنونم، يجعلها بهذا الشكل من الإضطراب والغضب والإنزعاج.

أدرك ماتيو، وهو ينتظر المصعد، أنه لم يعالج الأمر معها جيداً، شعر بأنه كان يقصد منح مارغريت عملاً أكبر مما كان يرغب في مساعدة جانيث وتيمي، وكان يظنها ستهافت على هذا، ولكن هذا لم يحصل.

كان يرجو أن تقوم بالعمل عنده، فهذا سيسهل من تبييد كراهيتها لعمل تيمي في مجال الشحن. والآن عليه أن يفكر في شيء آخر.

لن يكون من السهل أن يجعل مارغريت تفهم السبب الذي يجعلها تترك تيمي وتهتم بحياتها هي، لقد أضاف صفة العناد إلى القائمة التي سجل فيها صفاتها، لقد كان في رأس تلك القائمة الميزات الحسنة المعروفة مثل النزاهة والصدق والصراحة، وقد لا تكون هذه الصفات غير عادية في إنشواتر، ولكن في العالم الذي نشأ فيه ماتيو كانت هذه

الصفات قد اندثرت تقريباً، وهذا ما جعل مارغريت في حيزه مختلفة عن كل النساء اللاتي عرفهن.

وتوالت شفتاه وهو يفكر في تلك الجانب من حياته، لقد كان تصميمه على أن لا يتبع خطى والده لا يتوقف على العمل الذي كان يقوم به والده أو طريقة حياته، فقد امتد إلى النساء أيضاً، ومع أن الوالد كان قال مرة لابنه ماتيو أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تسعدهن، إلا أنها لم تنجح معه، وفي مرة تفككت فيها علاقة له، كانت تتركه محطماً، ومع ذلك فهي لم تعلمه قط أن يكون حريصاً في المرة التالية أو تمنعه من أن يقحم نفسه في علاقة جديدة وذلك في أسرع وقت ممكن، وكان ماتيو وشقيقته فقط هم الذين يعلمون بكتئاب والدهم، والأوقات الطويلة التي كان يمضيها في الصباح في سويسرا، بينما كل شخص كان يظنه يحضي سطة في الريفييرا في فرنسا.

لقد كان ماتيو قد قرر، منذ وقت طويل، أن لا يدع امرأة تسيطر عليه، أنه لن يمنح أي واحدة تلك السلطة التي ترافق السلطة والحب، وتوقف المصعد، فدخل إليه وأخذ يحدق في سبه اللامع وهو يفلق.

كان متاجر جنسن هارديور لا يبعد سوى ما يقارب المائة متر عن المستشفى، وكانت مارغريت قد وصلت إلى هناك خلال عشر دقائق، كان صاحب المتجر على علاقة وثيقة بحسنا جانيث، لذا كان سروره كبيراً لرؤيتها، تحدثا فترة عن واشنطن وعن عمل مارغريت، وعندما تطرق الحديث إلى العمل تذكر بالطبع الدهان الذي كانت جينا قد اختارته،

ومطلبت منه مارغريت أن يمزج غالونين بينما تحضر هي ورق الزجاج وعدة الدهان، كانت تدور في انحاء المتجر عندما سمعت السيد جنسن يقول: «صباح الخير يا سيد ماغنوم، بماذا يمكنني ان اخدمك؟»
كان أول ما فكرت فيه هو التراجع إلى مؤخرة المتجر كيلا يراها.

وناداهما السيد جنسن بعد ذلك بدقائق: «مارغريت، مارغريت، أين أنت؟ لقد تبرع السيد ماغنوم بتوصيلك إلى البيت، وذلك يعطيك من حمل هذا الدهان الثقيل في الحافلة.»

فجاءت إليه كارهاة: «لا حاجة لذلك، فما زال لدي أشياء أريد شراءها، ولا أريد ان اجعل السيد ماغنوم ينتظر.»
قال ماتيو باسماء: «الانتظار هو أسهل الأمور بالنسبة إلي، وأنا هنا للتزود ببعض ما تحتاج إليه شركة الشحن عندي، سأخذك إلى البيت عندما تنتهين، هل ستدهنين المطبخ؟»

كان يشعر بانها لا تريد ان ينتظرها ولا ان يوصلها إلى بيتها، بينما كان السيد جنسن يقول له: «إنها ستدهن غرفة طفلة جينا وجاهك، ذلك لأن جينا كانت شعرت بخيبة الأمل لعدم تمكنها من تجهيز غرفة الطفلة، وجاهك ذهب في رحلة إلى فينيكس تستغرق يومين.»

فكرت مارغريت بأن مدينة غاريسون ليست بحاجة إلى صحيفة يومية، وذلك في وجود السيد جنسن، هل كان عليه ان يخبر ماتيو ماغنوم بكل شيء.

سأل ماتيو وقد لاحظ انزعاج مارغريت: «غرفة ميكي

فاومات كارهاة، ونظر هو إلى المواد المتكومة فوق المنضدة وقال: «وماذا عن ورق الجدران هذه؟ أن وضعها سهل وهي افضل كثيراً من الجدران المطلية.»
لم تملك مارغريت سوى الابتسام، وابتسم السيد جنسن هو أيضاً: «فكرة ممتازة، ان هذه آخر تصميمات الجدار.»
وقال ماتيو: «بما أننا ستدهن الغرفة معاً، فسنساعدك في اختيار الورق.»

فقالت متلعثمة: «نن... ندهنها معاً؟»
فاوما بعزم: «إنني مهتم كثيراً بميكي.»
قالت مارغريت فجأة: «لست بحاجة إلى مساعدة، كما أنني لا أريد ورق جدران.»
فذهل السيد جنسن لفظاظتها هذه، ولكن ماتيو ابتسم قائلاً: «ولكنني أريدها.»

وسار إلى حيث ورق الجدران وأخذ ينظر إليها، وهو يقول: «علينا ان نتوخي الحذر عند الشراء، فقد أخبرتني سوزان بأن آخر بحث في نفسية المواليد هو انهم يلاحظون ما حولهم، ما رأيك في زهرة الخشخاش القرمزية؟ إنها قد ترحي إلى ميكي بأن تصبح رسامة، أو هذه؟ إنها اشكال هندسية، انا لا أوافق أبداً على فكرة ان عقل المرأة لا يتعرب الرياضيات.» وسمع آهة السخط التي اقلنت من شفتي مارغريت وهي تتقدم لتقف بجانب الجدار الذي عرض كل هذا. «جدار عليه رسوم نوتة موسيقية؟ قد تنشأ ميكي وهي تعزف الهرمونيكا، شاكرة لنا ذلك.»

كانت مارغريت ترى المزاج في عينيه، واشاحت وجبها بسرعة وقلبها يخفق إذ تشعر بقربه منها، عدت

يدها إلى نوع من الورق. بعينين لا تريان وسمعته يقول: «ماذا؟ يقطلين؟ لا اظن ذلك.»

اغضبتهما ضحكته، التفتت إليه تقول: «لا أريدك أن تساعدني، يا سيد ماغنوم، لا أريد أن تؤثر على خط حياتي كما فعلت مع كل انسان آخر، لن ادعك تفعل ذلك، قد يظن تيمي أن العالم منبثق عنك، ولكن ليس أنا وكلما كانت مقابلاتنا اقل، كان ذلك أفضل.»

ورأت لمحة غضب في عينيه سرعان ما تبددت: «وما صلة دهان غرفة بأخيك؟ أم هذا مثل آخر عن أن ليس بإمكانك أن تفضلني أي شيء في حياتك عن حياتي؟» قالت وقد كاد يخنقها الغضب: «أن قولك هذا لن يمنعني من أن احاول جعله يغير فكره بالنسبة لعمله الحالي، لقد تعبت من مهاجماتك الشخصية لي.»

وأثناء فترة الصمت التي تلت، سمعت مارغريت السيد جنسن يتحدث مع أحد الزبائن عن الدهان الخارجي. قال ماتيو: «انتي لست مثلك احاول ان ارغم شقيقك على اتخاذ مهنة لا يريدوها.»

فقال بعناد: «انني أريد الأفضل لأخي.»

«فكي إذن اربطة مشاعرك هذه تحرق، ودعيه يقرر بنفسه ما يريد.»

نظرت إليه وتمنت لو بإمكانها إقراغ بلو مليء بالدهان على رأسه.

«هل وجدت ما يعجبك؟»

نظرت مارغريت إلى وجه السيد جنسن الباسم وهزت رأسها: «لم أجد بعد.»

نظرت إلى ورق الجدار بعناية وقد صممت على التركيز على مهمتها الحالية، وأخيراً استقر رأيها على ورق مرسوم عليه دببة صغيرة قرمزية اللون على أرضية بلون القشدة.

قال ماتيو من خلفها: «سيعجب هذا ميكي، لن أنأخر إذ علي أن اشترى بعض الأشياء، هذا إلى فرشاة دهان ثانية.» فقال جنسن: «هناك فرشاة للدهان توفر نصف الوقت.» «هذه لا تنفع، أن مارغريت تحب القيام بالأشياء على الطريقة القديمة.»

فقال السيد جنسن: «إن الدهان الجديد الذي اشتريته هو ممتاز، كل ما عليك أن تقوم به هو أن تنظف الجدار، ثم تضعه، عادة لا تحتاج إلى أكثر من طبقة واحدة من الدهان.» وأثناء جمع المشتريات، بقيت مارغريت صامتة، وعنمها لخرج ماتيو محفظته من جيب بنطلونه الخلفي، قالت يعنف: «أنا التي سأدفع القائمة.»

التفت نحوها وقال ساخراً: «ألسنا نحن الاثنين، ساعدين للطفلة؟ سأدفع نصف الثمن.»

أخرجت حصتها من الثمن من حقيبتها بصمت، لم يعد الفصل في دهن غرفة ميكي هادئاً كما كانت تتصور.

عندما خرجا من المتجر، سألهما ماتيو: «متى نبدأ العمل؟» قالت تحذره: «إن الدهان غل شاق.»

قاروماً يقول: «أعلم هذا، فقد كنت دهنت منزلاً بأكمله ذات سيف، متى نبدأ إذن؟»

فقال: «هذه الليلة، حوالي الساعة الثامنة، فإن المسلسل الإسرائيلي الذي تحبه عمشي يكون في هذا الوقت، ويعدده تعجب إلى فرشاشها.»

توقفت بهما السيارة أمام المطعم، وقال ماثيو: «الساعة الثامنة إذن، أنه موعد.»

رفعت العمة جانيت بصرها عن المجلة التي كانت تقرأها وهي جالسة في الأرجوحة في الحديقة لحظة دخول مارغريت: «كيف حال جيتا وسيكي؟»

فأجابتها بذهن غائب: «الهما بأحسن حال، انني سأذهب لأدهن غرفة ميكي وجعلها مفاجأة لهما، ان جاك سيقب لعدة يومين، فإذا ابتدأت بالعمل لليلة، فسأنتهي قبل عويته أين تيمى؟»

«انه في منزل تيجي يتفرج على الفيديو، ان والدي تيجي يملكان متجر البقالة الوحيد في إنشواتر ويسكنان خلفه.» ترددت مارغريت ثم سألتها: «أترينه يتجنبني أم هي مخيلتي تصور لي ذلك؟»

فقالت العمة: «أظنه يحاول ان يتجنب المواجهة فقط، فهو يعرف انك لا تريدن له هذا العمل، وبدلاً من ان يناقشك في هذا الأمر، يفضل ان يبقى بعيداً عن طريقك، امنحيه وقتاً، وهو سيعود اليك.»

جلست مارغريت بجانب عمتها على الأرجوحة، وتكرياتها مع أخيها وهما طفلان تجول في ذهنها، أتراها حقاً قد أبعدت عنها أخاها الذي تحبه للغاية.

«هل تظنين يا عمتي انني مخطئة في عدم رغبتني بأن يصبح تيمى سائق شاحنة؟»

قالت العمة بطريقة الهادئة: «ولكنه لم يقل بعد أنه يريد ان يكون سائق شاحنة، أليس كذلك؟ لا تتلقني من شيء قد لا يحدث أبداً، هل وجدت شخصاً يوصلك إلى البيت؟»

وإذ قررت مارغريت ان لا تقلق عمتها بالجدال حول تيمى والشحن، نهضت وهي تقول: «سأحصل بجو وأطلب منه ان يحضر إلي مفتاح شقة جيتا الاحتياطي قبل ان يذهب إلى عمله.»

يجب ان تجد طريقة تصلح بها الأمور بينها وبين تيمى، يجب ان يدرك انها بجانيته، وانها لا تريد له سوى الأفضل، انها لا تستطيع المجازفة بفقدانه، ووصلت مارغريت إلى منتصف السلم قبل ان تنقبة إلى انها لم تجب على سؤال عمتها.

لما بالنسبة إلى اتهام ماثيو ماغنوم لها بانها لا تستطيع فصل حياتها عن حياة أخيها، فإن ليس له عليها حق في ان تثبت له شيئاً.

إنكا ماثيو إلى جدار منزل جو، ينظر إلى مارغريت وهي تقترّب ناحيته، كان القميص القديم الذي ترتديه فضفاضاً، وكان شعرها مربوطاً إلى الخلف، كما كانت ترتدي حذاء خفيفاً، وعندما نظرت إليه حول نظرائه بسرعة عن ثيابها إلى وجهها، لوت هي شفثيها وهي تراه في ثياب العمل الزرقاء وعلى رأسه قلنسوة أدار مقدمتها إلى الخلف، وسألها: «أمتعدة انت للعمل؟»

فأجابته: «مستعدة للعمل.»

فتحت مارغريت الباب وأضاءت النور ثم ذهبت مباشرة إلى حيث غرفة اللقطة، وفتحت فيها ذاهلة وهي تنظر حولها، لقد حفت الجدران بورق الزجاج، حتى زال عنها كل الذهان القديم، وتحولت تنظر إلى ماثيو الذي قال لها: «لقد كان لدي فراغ بعد الظهور، فرجوت أن لا يكون لديك مانع إذا انا ابتدأت بالعمل قبلك، فقد اعطاني جو مفتاح جاك الاحتياطي.»

كانت مواد الدهان موضوعة على منصدة في وسط الغرفة. وكان راديو صغير يطلق الحاناً كلاسيكية.

فتح عليه دهان وحركه وهو يقول: «انه لون جميل.»
وإن صممت مارغريت على ان تكون عملية، فقد غمست الفرشاة في الدهان وهي تقول: «سأقوم انا بدهن هذين الجدارين، بينما تدهن انت الآخرين.»

«نعم يا سيدتي.» وجعلها رده الساهر هذا تلقى عليه نظرة عابسة، في السنة الأولى لعملها معلمة، كان صفها يحتوي على ثلاثين تلميذاً فوضوياً في العاشرة من اعمارهم، وأثناء حضورها إلى هنا، حدثت نفسها بانها إذا كانت قد استطاعت السيطرة على أولئك الأولاد فبإمكانها حتماً ان تخمد مزاج ماتيو.

عملاً فترة بصمت، ثم قال: «سيجف الدهان اثناء الليل إذا نحن تركنا النافذة مفتوحة.»

قاومات قائلة: «سأعود غداً بعد الظهر للصق الورق.»
فقال يذكرها: «هذا ورقي وأنا الذي سألصقه فأنت لم

تقبلي شراءه، اذكركين.»

قالت بجمود: «حسناً جداً.»

انتهاء عمله هنا بعد الظهر، أخذ ماتيو يفكر في تلك النقاش الذي دار بينهما في المتجر ثم توصل إلى أول خطوة من خطته، ان على مارغريت أن تحرر شقيقها قبل ان تدمر الاثنين، الثقة والحب اللذين يربطهما معاً.

قال بحذر: «ان تيممي هو قتي رائع، يا مارغريت ان بإمكانه رعاية نفسه، وهو ذكي إلى حد يجعله يستطيع الوصول إلى قرار صائب بشأن مستقبله.»

ساد صمت جعله ينظر إليها من فوق كتفه، رآها قد توقفت عن الدهان، ولكنها ما زالت تواجه الجدار.

وأضاف يقول: «لقد حان الوقت الذي يجعلك تركيزين اهتمامك على نفسك.»

فقالت غاضبة: «أنتي لم احضر إلى هنا لأستمع إلى محاضرة عن طريقة حياتي.»

فتابع متجاهلاً قولها: «لا تجعلي من تيممي عذراً تتجنبني به الحياة، فهناك أمور في الحياة غير مراقبة شقيقها.»

أخذت تحدث فيه وقد تلاشى آخر أثر من ضبطها لنفسها، ثم صغرت تقول: «أنني اعرف بالضبط ما وراء هذا كله، انك لا

ستطيع ان تصدق رقصي الإلتحاق بنادي المعجبين بماتيو ستقوم. هل تقدمك للعمل معي في الدهان هي محاولة منك

خريتي؟ حسناً، دعني اخبرك، يا سيد ماغنوم، انه مهما بلغت الحدة التي ستعضبها في إنشواتر، فإن موقفك منك لن يتغير.»

نظر إليها بثبات: «هل هذا هو ما تظنينه حقاً، يا مارغريت؟»
«هو ان السبب الرئيسي لوجودي هنا، ما هو إلا لأغويك.»

أخذ منها فرشاة الدهان ووضعها بجانب فرشاته. ثم استقام في وقفته، بينما ثارجت هي مبتعدة عنه.

قال لها ببساطة: «إذا ابتعدت أكثر من ذلك فستصطدمين بالجدار، أنني أريد ان اتحدث اليك لا ان انقض عليك،

فأهدي إذن ودعينا نشرح بعض الأمور، أولاً أنني لا أتعبد سلقاً غواية امرأة. والغزل المتعمد هو شيء بارد جداً

بالنسبة إلي، ثانياً أنا قلت ما قلته لأنني اهتم بك وتيممي كما يهتم كل رجل شريف بالآخرين كنت اظنك تتفهمين ذلك وأنت

أنتي نشأت في إنشواتر حيث القيم مازال لها بعض القيمة.

لا أريدك أن تضعي سعادتك على الرف لأجل سعادة أخيك وأنا أرى الطريقة التي تحاولين بها السيطرة عليه. وانت ستألمين عندما يغفل من قبضتك إذا انت لم تطلقيه من نفسك.» تلاقت انظارهما ولغهما الصمت دقيقة قبل أن يعود قيقول: «انتي لا اقيم في إنشواتر لكي اغويك، يا مارغريت، فقد كنت امزح في ذلك النهار عندما أبلت بتلك الملاحظة. فانا هنا لأن شركة شحن يدوين لديها بعض المشكلات.» «آه... وما نوع تلك المشكلات؟»

«عند وصول الشاحنة، نكتشف سرقات بعض ما ننقله مثل صندوق معدات الكترونية، أو صندوق دواء، أشياء صغيرة لا تستحق ابلاغ الشرطة بشأنها. ولكننا تهمني، لم يحدث هذا مع شركات شحن أخرى، وقد كانت سمعة شركة شحن يدوين تقليدية على الدوام وأنا مصمم على اكتشاف اللص قبل أن يصبح الأمر أسوأ.»

التقطت فرشاتها وعادت إلى العمل، لا شيء قالته قد جعل الأمور أفضل فهي الآن لا تريد أن تسوء أكثر من ذلك. (انني اهتم بك ويتيمي كما يهتم أي رجل شريف بالآخرين). لقد جعل قاعدة علاقتهما واضحة تماماً، فهي عمومية، جافة، رسمية.

اخذت تخرب بالفرشاة بسرعة، لقد جلت العاصفة الجو حقاً، ولكن لماذا خلقت في نفسها كل هذا الاحساس بالتشوش والإضطراب؟ وشغلها أفكارها فلم تدرك مبلغ تأخرها إلا بعد أن انتهت جدارها الثاني، استدارت وأخذت تنظر إلى ماتيو وهو يعمل.

توقف عن العمل بعد قليل واستدار إليها، فحولت

تنظراتها عنه بسرعة، راجية أن لا يكون قد لاحظ تحديقها به. وقال: «انتهى عملنا في وقت قياسي، ان هذا يستدعي احتفالاً.» «احتفالاً؟»

قأوماً: «ان لدي بيتزا في التلاجة انها بيتزا بالجبن ولا أدري ان كنت تحبينها. اذ سمحني فترة قبل ان اعرف ذوقك في كل شيء، سأضعها في الفرن وأعود حالاً.» وترك الغرفة لمأخذت تحديق في أثره.

(ستمضي فترة قبل ان اعرف ذوقك في كل شيء). ان ماتيو يعني وكانهما حتماً سيعرفان بعضهما البعض بشكل افضل، ونظرت حولها في الغرفة.

لا ينبغي ابدأ أن تجعله يعرف ما تشعر به نحوه. بدت الجدران جميلة جداً، ونظرت إلى المصباح الكهربائي المثالي من السقف، وغبست، انه بحاجة إلى مظلة تخفف من حدة نوره.

قال ماتيو وهو يضحني لييسط غطاء مائدة جاعلاً منه سماًطاً ورقياً ما لبت ان وضع عليه اكواباً وصحوناً من الورق، قال: «اننا نشكل قريباً جيداً.»

ازدردت مارغريت ريقها... غريقاً، كما يكون اثنان في اتجاه واحد.

أخرج ماتيو من التلاجة سلطة وعلب عصير باردة. قالت مارغريت: «يجب ان اذهب إلى البيت حقاً. لقد قارب الوقت منتصف الليل.»

وسمعه يقول بهدوء: «هذا ان يستغرق وقتاً طويلاً، وبعد ذلك أخذك إلى بيتك.»

عبرت رائحة البيتزا في الشقة وتذكرت بانها لم تاكل عند

العشاء إلا قليلاً، وترك الغرفة ليعود بالبيتزا إلى حيث وضعها في منتصف سماعله ثم قدم إليها قطعة كبيرة ليعود فيضع لنفسه قطعة هو أيضاً.

عندما أصر بعد انتهاء الطعام، على أخذها إلى بيتها، لم تحسج كثيراً، صحيح أنها لم تعود أن يهتم بها أحد، ولكن ذلك كان شيئاً حسناً تماماً.

وعند باب بيدها استدأر يولجها وهو يضع يده على البوابة يمنعها من الدخول قائلاً: «مارغريت..»

«نعم؟» وأخذ قلبها يخفق بشكل غير عادي.

«انني أسف إذا كنت قد جرحتك بما كنت قلته لك، أن تيسي محظوظ حقاً إذ لديه أخت تحبه إلى هذا الحد..»

لم تقل شيئاً، فكللمات ماتيو كانت أكثر من سخية.

ورفع يده لكي تدخل قائلاً: «تصبحين على خير، يا مارغريت..»

«تصبح على خير..»

وعجبت للفراغ الغريب الذي شعرت به في نفسها وهو يتوارى بعيداً.

الفصل السادس

«ما الذي حدث هنا؟»

نظرت مارغريت حولها في غرفة جلوس جاك وجينا، عصر اليوم التالي، كانت هناك قطع أمثلة من جميع الاشكال والاحجام، على الأرض وعلى الأريكة، وقبل أن يجيئها سائق، قرع جرس الباب فذهبت لفتحه.

كان رجل يلبس امام الباب ويجانيه كرسي هزان كبير الحجم، وخلفه كان يسد الطريق شاحنة ضخمة.

قالت مارغريت: «نعم؟»

فأجاب: «هذا سيقيد طفلة جاك وجينا، يا سببتي.»

وأخذ يريث على الكرسي بينما كانت مارغريت تتحدث إليه، كانت قد ابتدأت تتساءل من أين أنت كل هذه الهدايا.

سألته: «من أين سأقول لهما جاءت هذه؟»

فقال: «لا ضرورة لذكر أي اسم، لقد سمعنا أن الطفلة جاءت مبكرة عن موعدها. وحيث أن جاك وجينا قد ابتدأ حياتهما حديثاً، فقد لا يكون متوفراً لديهما المال الكافي، عندما اخبرنا جاك بأنها فتاة... حسناً، انتني أنقل أثاثاً إلى شركة في اوريغون، قباعوثي هذه الكرسي بسعر بخس، كل أم يجب أن تجلس على كرسي هزان.»

فشعرت مارغريت بغصة وهي تستمع إلى كلام هذا السائق، كانت المحبة المتدفقة من كلامه لا تكاد تصدق،

وقالت بركة: «شكراً.»

أغلقت الباب ثم استدارت إلى سائقها تسأله: «هل كل هذه الهدايا من السائقين؟»

فاوفاً يقول: «نعم، ولكن بعضها من السكان هنا.»

فوضعت الكرسي بجانب المدفأة، واتجهت نحو غرفة الطفل، وإذا بها تتوقف، فقد كان بجانب الجدار منضدة لتغيير ثياب الطفل وبيجانيها خزانة بادراج، وكان الحصباح العاري قد نزع ووضع بدلاً منه مصباح بشكل دب صغير فوقه مظلة وذلك على خزانة الأبراج.

قالت بركة: «لا أستطيع تصديق ذلك.»

فقال ماتيو من خلفها: «لقد أحضر رجل هذا الأثاث الساعة العاشرة هذا الصباح، قائلاً أن أسرته قد اكتملت، فأرادت زوجته أن تهدي هذا الطقم إلى جاك وجينا.»

كان ماتيو قد قام بالصاق الورق حول الجدران بارتفاع أربعة أقدام عن الأرض، منهيًا بذلك العمل إلا من القليل جداً. التقطت فرشاة الدهان، وفتحت علبة دهان بلون القشدة، ستنتهي المهمة في غضون ساعتين وإن يكون ثمة حاجة تدفعها للعودة هذه الليلة.

بعد أن أنهت حوائفي النفاذة قررت أن تستريح قليلاً قبل أن تنهي العمل في الباب، وإذا ذهبت إلى المطبخ لتشرب الماء، سمعت صوتاً في الشرفة الخلفية، توجهت تنظر من الباب إذا بها تقف فجأة، كان ماتيو قد جثم بجانب مهد سمعها تخرج وتقف خلفه، فقال: «إنه قسم من الطقم، ولكنه بحاجة إلى إعادة دهان.»

كان قد أمضى معظم الصباح في إزالة الدهان القديم. وقال لها: «سأراك؟»

لم تقل مارغريت شيئاً، وبعد دقيقة التفت إليها وإذا به يقف بحركة سريعة وهو يسألها: «ماذا جرى لك؟»

فهزت رأسها والدموع تجري على خديها:

«مارغريت، مايك؟»

فقالت وهي تمسح ياكية: «انتني... انتني في غاية السعادة لأجل جاك وجينا والطفلة.»

فايتمسم قائلاً: «دعيني أفهم، أنك تبكين، كما سبق وقلت، عندما تغضبين، وكذلك تبكين عندما تكونين سعيدة، ألا تبكين أبداً عندما تكونين حزينة يا مارغريت؟»

نظرت إليه باهتمام باهتة: «إنني أحب من كل قلبي أن يحصلوا على أشياء جميلة للطفلة.»

فقال ضاحكاً: «إن لديهم الآن ما يكفيهما لطفليين... وربما لثلاثة.»

فقالت: «لقد كنت نسيت عبلغ كرم سائقي الشاحنات، عندما... مات والداي، حضر الجنازة كثيرون من السائقين ممن لم يكونوا يعرفون والدي، قالوا أنهم سمعوا بالحادث ويريدون أن يقدموا التعازي شخصياً، وقد جمع بعضهم نقوداً سلمها للعمتي جانيت لأجلنا، وعندما علموا أنها فتحت مطعماً، أخذوا يعلنون عنه بالكلام. فبقيت شهوراً والناس يقفون عند باب المطعم قائمين أنهم قد سمعوا عنه من سائقين آخرين.»

رأت الدهشة في عينيها وهو يقول: «إذن فنحن لستأسيئين؟»

«ليس لدي شيء ضد السائقين بالذات، ولماذا أكرههم؟ إن عملهم هو الذي أكرهه.»

أشاح بوجهه، وخيل إليها أنها سمعته يتأوه قبل أن يقول:

«كنت أظنك تخلصت من مخاوفك؟»

فقلت بسرعة، متلوفة إلى تغيير الموضوع: «ماتيو، انني آسفة لما قلته الليلة الماضية، انني اعرف انك لا تريد ان تخدعني، أو أي شيء من هذا القبيل..»
قال بعينين ضاحكتين: «مارغريت، ان جزءاً مشي عو فعلاً يريد اغوائك، ولكن هذا شيء لا استطيع التخطيط له بهدوء، انه يحدث عادة بشكل تلقائي..»
قالت وقلبيها يخفق: «أوه..»
«ألم يحدث ان تصرفت تلقائياً قط، يا مارغريت؟»
«مثل ماذا؟»

وتصاعد رنين جرس الباب.
توقف ونظر إليها يأساً: «انها هدية أخرى..» وذهب ليفتح الباب، بينما تناولت هي فرشاة الدهان وابتدأت تعمل بهدوء. لم تكن تريد ان تنقلب مشاعرها نحو ماتيو إلى أي شيء غير جاد، لقد كانت أدركت اثناء تلك الشهور الطويلة التي تلت موت والديها، أدركت شيئاً، وهو ان حب شخص لشخص آخر يعرضه للآلم والقلق والخوف من ان يفقده، وهي لا تريد ان تسمح لنفسها بحب أي شخص باستثناء عمته وأخيها.

«مرحباً يا تيمي..»
تظار تيمي إليها ثم حول نظراته وهو يدخل المطبخ.
قائلاً: «مرحباً..»
«هل أنت خارج؟» ندمت حالما انطلقت هذه الكلمات من فمها.
أوما هو يقول: «انني خارج مع تيجي، وسأذهب إلى حيث نأكل البيتزا، سارك فيما بعد..»

«هذا مؤكد..»

ومالبثت ان تسامتها ان ثلاثت حالما انطلق الباب خلف أخيها، لم تكن الأمور في تحسن، بل هي إلى الأسوأ، لم تكن قد سبق وكلفت نفسها التصور ان تيمي سيكبر، بل لم تكن قط ان مرحلة النضج عنده ستكون مرادفة لخسارتها له.
بعد العشاء خرجت مارغريت إلى منزل جاك محدثة نفسها ان كل ما ستقوم به هو توصيل الملاءات التي كانت عمته اشترتها للطفلة، ثم ترى ما إذا كانت النافذة والباب بحاجة إلى طيقة أخرى من الدهان. كانت والدته تيجي في زيارة لعمتها حيث جلست الصديقتان معاً يتحدثان وتشربان الشاي.

فتحت مارغريت الباب الأمامي، وإذا بماتيو يطل برأسه من باب المطبخ، فسألته بدهشة: «أما زلت هنا؟»
قاوماً يجيب: «أريت ان انهي دهن ألمهد هذا اليوم حيث انني ساكون مشغولاً غداً، تعالى وانظري ان كان يعجبك..»
كان يريد أمس ان يكاشفها بعيله إليها، ولكن الخوف منه من ذلك، ذلك ان مشاعره العاطفية نحو مارغريت هي أقوى مما شعر بها نحو أي امرأة أخرى من قبل، ولم يستطع ان يفهم السبب، كل ما كان يعرفه هو ان يتمهل في الأمر..
نظرت مارغريت إلى المهد، كان لونه بلون الشفق، وقالت بركة: «ما أجمله..»

فأخذ يجمع العلب الفارغة وهو يقول: «هل انت مستعجلة العودة، ام بإمكانك البقاء؟ ان لدي بعض المرطبات في الثلاجة ويمكننا ان نجلس فترة..»
«لفترة قصيرة فقط..»
وعندما ذهب إلى المطبخ، حدثت نفسها (تذكرني انه

سائق شاحنة في اعماقه، فيجب ان لا تمتلك هذه المشاعر نحوه)، ولكن ما هي هذه المشاعر؟
الإضطراب، القلق، اللهفة، ولكن أي خطأ في الاستماع يرفقه رجل؟

وعاد ماتييو بالمرطبات ثم جلس بجانبها، كان يعيق منها شذا ورود الصيف، نفس النوع الموجود في حديقته. وسعها تنهد فسألها: «هل انت متعبة؟»

«كلا، وإنما سرورة، لقد كنت نسيت جمال أمسيات الصيف في إنشواتر، الجو في واشنطن رطب للغاية.»

«هل انت سعيدة بالقدوم إلى بيتك، يا مارغريت؟»
فاوصات قائلة: «نعم، ما كانت عمتي لتحدثني عن ثدهور أسورها لو لم احضر وأرى بنفسي، ان بإمكانني الآن ان اطعمن إلى انها لن تعود إلى إرهاب نفسيها بالاعطال، انها احسن كثيراً الآن منذ وجبت انت لها هاتين المرأتين لتساعداهما، كيف استطعت ذلك؟»

«لم يكن من الصعب ان أقول ان عنك مخدومة جيدة، هل هي تعطي دوماً أكثر مما تبيع؟»

فاوصات مارغريت قائلة: «نعم، انك تعرف ذلك المثل القديم الذي يقول (ليس المعطاء هو الذي يفقر الانسان)، حسناً انني لا اعرف من هو الذي قال هذا، ولكن عمتي قد اثبتت صحته بشكل مؤكد، ذلك ان لديها اسدقاء اكثر من ان استطيع احصاءهم.»

فقال: «وانت قد ورثت عنها هذا، اليس كذلك يا مارغريت؟»
فقال تغيير الموضوع: «لقد قالت لي عمتي ان اشركك لأجل الأزهار التي أرسلتها اليها هذا الصباح.»

«كان هذا سروراً لي، فقد كانت جاذبية بالغة الكياسة لي حين جئت إلى إنشواتر لأول مرة، وهي التي شجعتني على ان أنشيء موقفاً للشاحنات هنا، اظنكما كنتما معطوظين جداً بها عندما كنتما في طور النمو.»

فاوصات قائلة: «كنا كذلك فعلاً، انني اذكر مرة أخذ غيبا حد زعلنا في المدرسة يتهمك علينا لأننا كنا يتيمين، وعندما عدت إلى البيت باكياً، قالت لنا انه صحيح ليس لدينا والدان وهذا يجعلنا يتيمين، ولكن لدينا هي عممتا، وهي ستابة الوالدين لي شخص واحد، فهي بإمكانها ان تخريننا واطمانا ككل الآباء، وتحبنا ككل الأمهات، قالت لي ولتيمسنا معطوظان لأن اغلب الأولاد عليهم ان يطيعوا والديهم اثنين، ولكن نحن علينا ان نطيعها وحدها، انها كانت عريضة على ان لا نشعر بالأسى على انفسنا.»

التفتت إلى ماتييو، وسألته: «كيف كانت طقولاتك، يا ماتييو؟»

أجاب وقد تاهت غيباه في الماضي وبدأت الكتابة في ملاحظته: «كانت فظيعة، لا اظنك تحبين ان تسمعي عنها.»
فقال بركة: «حدثني.»

اجفلت وهي تسمع صوت انتسحاق علية العصير في يده وهو يقول: «الغضب كان يسود طفولتي، يا مارغريت، ان كبرياتي الباكسة هي عن أمي وأبي بصرخان ويتشامان، على الدوام كانت رائحة كبرية تفوح منهما، وكنا دوماً غاضبين، عندما كان يثور غضبها هي كانت تلقى الأشياء، وعندما رحلت شعرت في الواقع بالارتياح لأن اسرل أصبح هادئاً من دونها، وكان يرعانا، انا وسوزان

وباتريشيا جيش من الخدم، وكنا نحصل على كل ما نريد مانعاً بعيدين عن طريق أبي.»

كانت الشمس تغوص وراء الأفق رويداً رويداً، مغرقة الكائنات بلون الشفق الذهبي، البرتقالي، ولكن مارغريت لم تحول نظراتها عن وجه ماتييو وهو يتابع قائلاً: «في كل مرة تزوج أبي فيها، كان يخبرنا بأننا ستكون أسرة سعيدة، وأنه يتزوج لكي يمنحنا أمماً، وقد حدث هذا مرتين قبل أن أعرف أن الأمور لن تتغير، لم تهتم أي من تلك المرأتين لم تكن تهتم بأبي كذلك، وإنما يأموه فقط. وهكذا نشأت معتبراً أن الحب هو كلمة تخدع بها المرأة الرجل لتتال منه ما تريد.»

فقلت بهدوء: «هذا غلط.»

«لقد تعرفت إلى نساء كثيرات، ولكنني لم أقع في حب واحدة منهن قط، انني اعتبر حبي لامرأة هو تسليمها قيادة حياتي، ولا اظن بإمكانني أن أثق بامرأة إلى حد القيام بهذا. وهكذا ترين انني وضعت نفسي في قفص من صنعي، ما جعل من المستحيل، بالنسبة إلي، أن أثق بحب امرأة.»

شعرت مارغريت بفصّة في حلقها، ولم تعرف ماذا تقول. فالكلمات النافهة لا تستطيع أن تشفي جراح ماتييو النفسية، انها لم تعان ما عاناه، ولهذا ما يستطيعه هو فقط أن تتكهن ببيع ألمه، وجلسا صامتتين، بينما أخذ الظلام ينتشر من حولهما.

جلست مارغريت إلى مائدة المطبخ مع عمته، وكان الطعام يغلي في قدر على الموقد، فقد كان تجهيز اللحم والخضار لهذا قد استغرق منهما ساعة كاملة، وكانت رائحة الطعام الشهية قد ابتدأت تعبق في جو المطبخ، وكانت أني

التي تعمل في المطبخ قد خرجت لقضاء فترة راحتها، سكبت مارغريت فنجانتي قهوة، وهي تقول: «انني سأذهب بعد الغداء إلى منزل جينا، هل تريدان أن ترسلني معي شيئاً؟» قاومت العمة تقول: «سأضع لك شيئاً من هذا الطعام لجينا، وشيئاً لجو. انني مسرورة لزيارة والديها والذي جاك لهما هذه الأيام.»

«إن جينا قلقة بشأن جاك، انها تقول انه أصبح جافاً جداً.»

فقطبت العمة جبينها مفكرة: «لا أبري ماذا قد يكون حدث بينهما. فقد كانا في غاية السعادة قبل ولادة الطفلة.»

«إن جاك سيخرج مع جينا لتناول العشاء في الخارج هذه الليلة. وهي مصممة على التحدث اليه بهذا الشأن. وأنا سأصف لها شعرها بعد الظهور.»

«مارغريت، هل تستمتعين بإجازتك؟»

أجابت بحزم: «كثير جداً.» تلك انها شعرت بقلق عميق من وراء هذا السؤال.

دوماً كان هناك ما تقوم به، فهي تساعد عمته عند الصباح في الطهي، ومنذ عودة جينا وباك إلى بيتهما، أخذت تضي قسماً من العصر معهما. وفي الأمسيات، كانت تجلس لقراءة أو العمل في الثوب الذي كانت تحيطه. ياليت الأمور كانت صافية بيتها وبين تيمي. إذن لاكتملت سعادتها.

«انني مسرورة لأجلك. فليس ثمة أسوأ من الملل.»

قالت مارغريت تذكرها: «اتذكرين ما كنت قلته لي تيمي عندما كنا صغاراً؟ الناس المشهورون للملل هم فقط من يشكون من الملل.»

فابتسمت العمة وهي تنهض، وقد سرت لكلمات ابنة أخيها، «أنتي مسرورة لمجيئك إلينا، يا مارغريت». كانت العمة قد جعلت مارغريت تظن أن أحوال المطعم ترمقها، إذ كانت تعرف أن ذلك يجعلها تأتي اليهم، فهي منذ تعرف إلى ماتييو ماغثوم، قررت أن تعرفه إلى مارغريت قبل كل شيء، وما قد أدت دورها في جعلهما يتعارفان وعليهما الباقي.

كانت مارغريت تعد مائدة المطبخ للعشاء، بينما افكارها منصرفة إلى ماتييو، كانت آخر مرة رأته فيها هي في محل اليقظة، وذلك في اليوم التالي لإنتائه دهن العهد، وكان قال لها أنه سيذهب فترة إلى لوس أنجلوس، وما قد مضى اسبوع دون أن يبدو له أثر.

أن عمل ماتييو بالشحن هو وحده سبب كافٍ يجعلها تتباعد عنه، ويكون معشر السائقين جيد للغاية لا يغير من واقع أن العمل الذي يقومون به هو قاسي وخطير، أنها لا يمكن أن تسمح لنفسها بالوقوف في غرام سائق شاحنة.

رفعت يدها إلى فمها. ما هذا الذي تفكر به؟ فهي لا تريد أن تسمح لنفسها بالوقوف في غرام أي شخص كان، فالحر يقود إلى الآلام، وأن عليها أن تقوي من دفاعاتها قبل عودة ماتييو، فهو درس علمها إياه الماضي.

سألتها تيمبي وهو يدخل المطبخ: «إنها ليلة العمة جانب مع نادي الأطعمة الدولية، أليس كذلك؟» كان يبدو أنها نظيفاً قد سرح شعره إلى الخلف فبدأ بذلك فتى تاضحياً «هل علينا أن نأكل طعاماً غريباً لم نتعوده هذه الليلة؟»

فقالت باسمه: «كلا، فأطعمة نادي العمة جانبيت تتغير كل شهر، وهذا هو الشهر الإيطالي، الذي سناكل أثناء طعاماً طهيها على الطريقة الإيطالية.»

فقال وهو يناولها طبقه: «آه، هذا حسن، هل أنت خارجة يا مارغريت؟»

سكنت له كمية واقرة من الطعام وهي تساله بدعشة: «كيف عرفت؟»

ذلك لأنك ترتدين عادة شورت وقميصاً، ولكنك الليلة ترتدين تنورة، وشعرك مسترسل وغير مربوط إلى أعلى، لذا أنك تضعين أحمر الشفاه على شفثيك.»

وعندما نظرت مارغريت إليه حائرة، انحنى هو على طعامه. لم يكن من عادته أن يكون شديد الملاحظة إلى هذا الحد.

أجابت تقول: «أنتي سأذهب الليلة إلى منزل جينا لأجلس بجانب ابنتها أثناء خروجها مع زوجها.»

لم تكن جينا قد قبلت بالخروج مع جاك إلا بعد أن وافقت مارغريت على الجلوس بجانب ابنتها، وطلباً لمصافاة الأم عادة، لم تقبل جينا بأن تاتمن على ابنتها أي أحد آخر.

سألت مارغريت أخاها بلهجة حاولت أن تجعلها عفوية: «كيف تسير الأحوال في موقف الشاحنات؟»

«بشكل عظيم، لقد ذهبت في أول رحلة لي هذا النهار مع أحد السائقين، ذهبتا فقط إلى بارستو ثم عدنا، ولكن الرحلة كانت منظمة تماماً، أن للتجهيزات الجديدة هي مختلفة جداً عما كانت عليه، وقد عاد السيد ماغثوم هذا الصباح من لوس أنجلوس.» وإن بقيت صامتة رفع بصره ينظر إليها، ثم سألتها: «ما الذي حدث؟»

وإذ لم تتلفظ مارغريت بكلمة، تغيرت ملامح تيمى وقال «هل صعب عليك سماع خبر ذهابي اليوم في أول رحلة لي؟» ونهض غاضباً وهو يتابع قائلاً: «أنك لست ممثلة ماهرة يا مارغريت، لقد تظاهرت بقبول ما أقوم به، ولكن الحقيقة أن لم يتغير شيء في أعماقك، أليس كذلك؟» فانت ما زلت تكرمين عملي في الشحن. أنك تريدني أن أبتعد عن الشاحنات لأنك لم تستطعي قط أن تنسى ما حدث لأمي وأبي.»

أجاب مارغريت وقد امتلأ ذهنها بذكريات تلك الليلة التي تلقت عندها فيها تلك المخابرة الهاتفية من المستشفى تخبرها فيها بأن والديهما قد أصيبا في حادث خطير. أجابت تقول: «إن قيادة الشاحنات عمل خطر.»

أخذ يتخلل شعره بأصابعه وهو يتحول إلى نافذة المطبخ ينظر من خلالها وهو يقول: «أنه ليس أخطر من أي مهنة أخرى، وقد ضجرت حقاً من تدخلك الدائم وتعليمي ما علي أن أفعله بحياتي.»

«تيمى، يجب علينا أن نتحدث.»

«وماذا هناك لنتحدث عنه؟ أنني لا أريد أن أستمع إليك وانت تحاولين تغيير افكاري، أن الرعب يملكك من أن اتخذ مهنة سائق شاحنة مثل والدي. أنا أسف إذ لا يعجبني أن اتخذ عملاً آمناً في مكتب هندسة، كما تريدان. حتى أنني لست واثقاً بعد من أنني أريد أن أكون سائق شاحنة، كل ما أعرقه حالي هو أنني مسرور بعلي بين الشاحنات، وعندما يحين الوقت لنا الذي سأختار مهنتي وليس أنت.»

تملكها الألم، الحق مع تيمى، فقد عادت إليها كل مخاوفها حينما أخبرها عن رحلته هذا النهار.

ورقفت تنظر إلى عشاء تيمى الذي لم ينهه، وقد تملكها اكتئاب، أنها المرة الأولى التي ترى فيها تيمى غاضباً بهذا الشكل، أنها لا تستطيع تغيير مشاعرهما نحو هذه المهنة، وإذا لم تقبل بحب تيمى للعمل الذي يزاوله، فهي ستخسر شقيقها كلياً.

وشعرت بغصة في حلقها، أن تيمى أهل لتقرير أمره، وعليها أن تتعلم كيف تكف عن القلق وعندما نظرت إلى الساعة، تذكرت موعداً مع جينا.

في طريقها إلى منزل جو، حيث شقة جينا وجاك أخذت حكر في ماتبو ماغنوم، متعنية لو أنه لم يأت قط إلى شوانر لإقامة موقف شاحنات.

«مرحباً يا مارغريت، تيمى جميل جداً هذه الليلة، ألا تريدان أن تزوجيني فتعيشي سعيدة بقية الحياة؟» كان جو وهو يقول لها هذا، يقف على شرفة المدخل الأمامي. وكان عرضه الزواج هذا بنفس اللهجة التي يمكن أن يسألها فيها أن تباع حصته من الحلوى لتجمع نقوداً لإنشاء فرقة موسيقية مدرسية، وأجابت هي بإسمة: «كلا، شكراً يا جو. فالليلة ليس لي مزاج للتفكير في الزواج، لأننا هنا لا نكون جليسة لطفلة جينا.»

«ولكن كيف بإمكان الرجل أن يستقر بينما فتاته لا تعطي يقربه وقدأ كافيأ يجعلها تقبل عرضه الزواج عليها.»
وتبعها صوته المازح وهي تدخل شقة جينا وجاك.

الفصل السابع

«مرحباً، يا مارغريت، ادخلي.» هتف جاك بذلك وهو يفتح لها الباب.

«ألا تقولين مرحباً لمارغريت؟» قالت جينا ذلك بصوت رخيم مشيرة إلى طفلتها التي كانت تضع أصبعها في فمها «مرحباً مارغريت.» صدر هذا الصوت من ماتيو الذي كان يهض وقلقاً من على كرسي في زاوية من الغرفة تلاشت من نفس مارغريت كل الاحتياطات والدفاعات التي كانت أنشأتها حولها وذلك إزاء حرارة نظرات ماتيو وشجب وجهها. نسبت لحظة كل شيء عن تيمى وتعتياتها لو أن ماتيو لم يسمع قط باسم إنشواتر، أخذ قلبها يخفق بالمشاعر، لم تشعر قط بالحياة تتدفق في كيانها كما شعرت في هذه اللحظة.

شعرت مارغريت بغصة في حلقها حين فقت تذكر غضب تيمى إلى ذهنها، وأحالت الذكرى هذه الحرارة التي تملكها إلى برودة الثلج.

«مرحباً ماتيو.» وكان صوتها مزيحاً من التحفظ والإرتجاف.

كانت جينا تقول: «لقد اطعمت ميكي وغسلتها وهكذا ستنام عابسة، وقد وضعتها في مهدها.»

أرغمت مارغريت نفسها على النظر إلى جينا لكي تستوعب ما تقوله: «سنعود حوالي الحادية عشرة، فإذا جاءت...»

فقالت مارغريت: «قساطعهما، وإذا كانت مبيتة فسأغير يا الحفاظ، وإذا بكت سأحملها.»

أومات جينا، ثم التفتت إلى زوجها: «هل تركت يا جاك قدم هائف المطعم...»

عقاطعها: «نعم، نعم تركته، وكذلك رقم هاتفى المركز الطبى والشرطة، وهاتف والدك ووالدتي كنت سأترك رقم هاتف والدك جو أيضاً لو أنها تعيش في ولاية أريزونا.» وعزم بعينه لماتيو ومارغريت قبل أن يلتفت إلى جينا. «إن ميكي ستكون بخير، والآن دعيهما لذلك يا حبيبتي، إلى لقاء وشكراً لكما.»

«دعيهما؟» نظرت مارغريت مسائلة إلى ماتيو بينما سار يجر زوجته إلى خارج الغرفة.

رفع ماتيو حاجبه وابتسم: «لقد كابت جينا تغير رأيها في الخروج هذه الليلة، حتى وعدتها بأن أبقى هنا لمساعدك في رعاية الطفلة.»

وقطع صراخ الطفلة الاعتراض الذي كانت مارغريت على حد النطق به، ثم اتجهت إلى غرفة النوم، ولكن يد ماتيو على كتفها أو قمتها، فنظرت إليه. «سألها بهدوء: «ماذا جرى؟»

أجاب بصوت حاولت أن تجعله طبيعياً: «ماذا تعني؟»

«عندما دخلت القيت على نظرة تفصح عن سرورك حقيقي، وفجأة كأنما ألقاً شخص ما المصباح في داخلك، ثم تطبقى رؤيتي، ما الذي فعلته أنا الآن؟»

أجاب دون أن تنظر إليه: «لقد ذهب تيمى في رحلته الأولى هذا الصباح.»

«آه، فهمت، فقد عاودتك مخاوفك القديمة من أن يحدث له

شيء كما حدث لوالدك. وقررت توجيه اللوم علي لما يفعله تيمى».

وقفت وقد سمرها في مكانها غف النظرة التي وجهها إليها ماثيو، لقد كان تخمينته صحيحاً، وأعادها إلى حاضرها صراخ ميكي وولولتها، فهرعت إلى غرفة النوم ثم حملت الطفلة، وأخذت تهددها.

في غرفة الجلوس، دس ماثيو يديه في جيبه وهو يعترف لنفسه بالحقيقة، فهو لم يكن رجل الأسبوع الماضي لقضاء أعمال له، بل لكي يمنح نفسه فرصة يعالج فيها أمر موقف غريب. ذلك أنه لم يستطع فهم مشاعره نحو مارغريت... فهذا الشوق الذي يشعر به نحوها، ولحقتها إليها، كل هذا كان هو السبب في رغبته في أن ينبهها إلى نفسها وليس مجرد مساعدة منه لإنسان آخر.

عادت مارغريت إلى غرفة الجلوس حيث جلست على الكرسي الهزاز وأخذت تربت على ظهر ميكي، ماداماً سيمضيان بقية المساء معاً، فمن الأفضل أن يكون حبهما طبيعياً.

وإذ شعرت به يحدق إليها، قالت بسرعة: «إن ميكي طفلة هادئة جداً ما لم تصب بالمغص، إن جاك وجينا محظوظان في الحقيقة، فهي لا تستيقظ سوى مرة واحدة في الليل».

«يبدو أنهما متعلقان جداً بالطفلة».

«هذا صحيح، فهما يتجادلان في من يطعمها منهما أو من هو الذي يختار لها ما تلبس».

«كم من الآباء، في الواقع يستمتعون بأطفالهم، هذه الأيام؟»

«وإن تجشأت الطفلة بقوة قالت لها مارغريت: «هل هذا ما كان يزعجك، يا حبيبتي؟» وكان ما قاله ماثيو عن

آباء قد أدهش مارغريت، فقالت: «إن أكثر الآباء الذين عرفهم كذلك، ما الذي لا يمكن أن يحبه أحد في الطفل؟»

فأجاب: «لا أدري، ولكن في المكان الذي جئت أنا منه رأيت آباء يتفوقون حالما يأتي الطفل، أو يتجادلون في من هو الذي ليس عليه تغيير حفاظ الطفل وما أشبه».

كان هذا بعيداً عن التصديق، فقالت: «إن ضغط الحياة قد فعل ذلك بالناس».

«ألم تكن تربيتك وشقيقك متعبة لجانيت؟ ومع ذلك فهي الآن لكما غاية الحب».

قاومت مارغريت تقول: «لقد كنت سألت عمي جاتيت سرّة عما إذا كانت تربيتنا شاقة عليها، فقالت أنني وتيمى قد اعطيناها هدفاً في الحياة، وأن المرة الوحيدة التي أزلت فيها أن تتخلى عنا لمن يرعانا هي عندما كتبنا رسالة إلى طبيبتنا، تسأله إن كان يتزوجها ثم يصبح والدنا».

أوتفتت ضحكاتها في فضاء الغرفة الساكن. وتحركت الطفلة في نومها، فعادت مارغريت تربت عليها وهي تقول:

«ميكيتك رأيت وجه العمّة جاتيت عندما تلقت رسالة من الدكتور مرمارد مصحوبة بتلك الرسالة، لقد سألتنا لماذا فعلنا ذلك، فقال

تيمى إن المتزوجين يشجبون أطفالاً، وهو يريد العمّة جاتيت أن تزوج وتنجب مفعلاً، وبهذا لا يعود هو الأصغر الذي عليه أن

يسع الجميع. ثم سألتني عمي عن سببي أنا، فقلت: «وتلاشي صوت مارغريت وهي تتذكر ما كانت قالته. ثم وقفت وأخذت

تسير على أرض الغرفة والطفلة الصامتة على يديها.

سألتها ماثيو بهدوء: «وماذا كان سببك أنت، يا مارغريت؟»

«مارغريت؟»

تهدت، شاعرة بالفخ الذي أوقعت نفسها فيه، كان عليها أن تدرك أن ماتييو لن يسكت عن هذا الأمر.

أشاحت بوجهها عنه وقالت: «لقد قلت لها إنني بحاجة إلى والد لكي يسلمني إلى عريسي عندما أتزوج.»

ساد السكون لحظة قال ماتييو بعدها: «لا بد أن عقدت لوالدك ميكرأ بذلك الشكل، لا بد أنه كان صعباً جداً عليك.»

وردت عليه بصوت أدنى إلى الهنس: «نعم، كان صعباً.» تركت الغرفة إلى حيث وضعت الطفلة في مهدها ثم وقفت بجانبها فالحزن الذي كانت تخاف من إطلاقه، هدد بإغراقها وهي تتذكر وجه عمته عندما تركت سماعة الهاتف من يدها في تلك اليوم المصيري منذ ثلاثة عشر عاماً.

لقد كانت عمته قالت وهي تحيط مارغريت وتيمي بذراعيها وقد ابيضت شفتاها: «لقد حدث اصطدام.»

لقد كانت فتاة صغيرة ترسم صورة لأمها وأبيها ولكنها في الدقيقة التالية، كانت قد استحوالت كل ما استطاعت أن تتذكره هو أنها احاطت تيمي بذراعيها وهي لا تفقا تردد لحظة بعد لحظة: «إنني لن أتركك يا تيمي، لن أتركك أبداً.»

«مارغريت.»

وشعرت بيده الدافئة على ظهرها، لم تكن تريد أن يراها ماتييو بهذا الشكل، ولهذا بقيت مشيخة عنه بوجهها لأنه كان ميللاً بالدموع، ثم شعرت بيد ماتييو على كتفها مديراً وجهها لمواجهته، ثم قال لها بصوت رقيق ثابت: «لا بأس في البكاء.»

كان في هذه الكلمات البسيطة، والتي جاءت في قمة توترها بسبب ذلك النقاش مع تيمي، كان فيها انهيارها، لم

يقطعها أحد لتلك الفتاة الصغيرة مارغريت والتي كانت تحتفل الألام دون شكوى، لقد قالوا لها أن تكون شجاعة، وأن تهتم بأخيها وترعاه. وأن تكون فتاة طيبة وتساعد العمه جانييت، لم يخبرها أحد قبل ماتييو بأن البكاء أمر جيد.

وانفجر سد ضبط النفس، وتدفق طوفان الأحزان المختزنة كل تلك السنوات، أمسك ماتييو بها وشهقاتها تتوالى، والكلمات غير المفهومة تتدفق من بين شفتيها تصف أحوال ذلك اليوم... والألم والصدمة...

لقد اعتصر قلب ماتييو حزناً وهو يستمع إليها، متسائلاً عما إذا كان فعله عين الصواب وهو يرغمها على الوصول إلى هذه النقطة.

عندما توقفت الشهقات، وابتعدت عنه، ناولها بعض العناديل الورقية وهو ينظر إلى الطفلة النائمة والتي لم تتحرك أثناء عاصفة البكاء تلك.

«تقول جينا أن ميكي تستيقظ، أحياناً، إذا ما عطس شخص في الغرفة الثانية. وفي أحيان أخرى لا تسمع شيئاً ولو قرعوا الطبل في غرفتها.»

كان صوت مارغريت مبجوحاً وهي تقول ذلك، ولكن الدعابة الهادئة خلف كلماتها ملأت قلب ماتييو بالسرور.

فقال: «فلنذهب إلى غرفة الجلوس.»

شعر بارتباك مارغريت وهي تشيح بوجهها عنه، فقد اخترق كل السدود التي كانت احاطت نفسها بها، ما جعله يصل إلى حيث هو الآن... إلى الباب الذي يقود إلى اعرق مشاعرها، أن كلمة واحدة خطأ يتلفظ بها كفيلة بأن تجعلها تصفق الباب في وجهه.

نظر إليها تجلس على الكرسي الهزاز وقد ارتسم الحزن على وجهها وامتلات عيناهما بالذكريات، وقال: «من حسن حظكما ان كانت لديكما العمة جانيت، لا احد يستطيع شفاء آلام فقد الوالدين ولكن لديك ذكريات جيدة أخرى عن طفولتك وشبابك في ظل امرأة تحبك.»

أوصات مارغريث إيجابياً، بينما تابع هو يقول: «ان اغضل ذكرياتي انا هي حين هربت من البيت.» كان يريد بالحديث ان يمنح مارغريث وقتاً تهذا فيه. «كانت شقيقتاي سوزان وباتريشيا في مدرسة داخلية، وذلك بغضل زوجة أبي الثالثة، لم اشعر في حياتي قط بمثل الوحدة التي كنت اشعر بها في ذلك الحين، ولكنني كنت عن ناحية أخرى، مسروراً لخلاص شقيقتي من كل ذلك... ذات ليلة، وكان في منزلنا حفلة كبيرة، قدمني أبي إلى آخر صديقة له والتي كانت مرشحة لأن تكون الزوجة رقم أربعة وهو يقول: «اعرفك إلى ابني ماتيو. انه لأبيه. هذا الشبل من ذاك الأسد.»

«وقفت انا وقد صدمتني كلماته هذه، فانا لم اكن أشبهه مطلقاً، ولكنه لم يكن يرى ذلك، فقد كنت أقول له يوماً أنني لا اهتم بعمل الأسرة، ولكنه لم يستطع ان يفهم، فقد كان واقفاً تماماً من انني مع الوقت، سأقوم بما يريد بالضبط، وقجاة، اندركت أنني إذا بقيت هناك بعد ذلك فلن استطيع متع نفسي من ان اصبح مثله. وفكرة أن اصبح شبيهاً بابي اخافتني اكثر من أي شيء آخر في العالم، فذهبت إلى غرقتي، وجمعت بعض الحاجيات، ثم تسللت خارجاً.

وصلت بطريقة توقيف السيارات، إلى الشارع العام، شاعراً بوحدة وخوف لم يسبق ان شعرت بهما في حياتي.

وبعد حوالي ساعة وقفت بجانبني شاحنة نظرت إلي السائق منها وهو يقول: «إلى أين أنت ذاهب يا ولد؟» فقلت واسألني تصطلك من الخوف: إلى حيث تذهب. فسألني: ألا تريد ان تخبرني؟

ولا أدري ما إذا كان الظلام هو السبب، أم حقيقة أنني لم اتحدث إلى أي شخص عن مشاعري، ولكن عندما ابتدأت بالكلام لم اعد استطيع التوقف، فأفرغت أمامه كل شيء. طريقة حياة والدي، شعوري نحو النساء اللاتي كان يحضرهن إلى المنزل، وبيتنا الكبير المليء بالخدم والمال والفراغ. استمع هو إلي دون ان يتقوه بحرف، وعندما توقفت عن الكلام، اوقف المشاحنة وقال: اننا سنكل وننام هنا الآن. وعند الصباح سنتحدث. وعند الصباح قال لي أنني لن استطيع الهرب من الذكريات لأنها في داخلي. والشئ الوحيد الذي علي ان اقوم به، كما قال، هو ان اواجهها وأرى ما يمكن وما لا يمكن تغييره، لما أبي فلم يكن من الممكن تغييره، وهذا يعني أن علي ان اتغير، ثم قال: «اتعرف ما هو بانتظار الشخص الهارب، في العالم؟ انها تعاسة ومشقة لم تتصورها قط، فلا شخص نزيهاً سيسأجرك لأنك تحت السن، والذين يستأجرونك سيعثونك أجراً قليلاً ويزيدون ساعات عملك، وإذا لم تكن تريد ان يعثر عليك والدك، عليك ان تبقى مختبئاً وهارباً من مكان إلى مكان، هل بهذا الشكل تريد ان تمضي السنوات القليلة التالية في حياتك، وذلك إلى ان تبلغ سن الرشد؟ وما الذي سيحدث لشقيقتيك، قد تفكران في الهرب مما أيضاً.»

لم يعجبني ما قاله، وأخيراً عاد يقول: «أندري ماذا؟ أنني

أراك غلاماً غنياً مدلولاً، انني أراك في الواقع، أشبه بابيك، فانت تقول انه لا يفكر إلا في نفسه، وها انت ذا تفعل نفس الشيء بالضبط وذلك بهذا الهرب دون أن تفكر إلا في نفسك.»

«وملأني خوفاً عقارته لي بأبي، ما جعلني أسأله عما علي أن اصنع، فقال: «العلم والمال هما طريقك إلى الحرية التي تريدها، عد إلى بيتك، وأكمل دراستك وزود نفسك بمؤهلات تساعدك على تحصيل معيشتك. ففي اليوم الذي تبدأ فيه العمل، هو اليوم الذي تبدأ فيه باكتساب القوة لتحويل احلامك إلى حقائق. انك ستحتاج إلى شجاعة وعزيمة لكي تختار طريقك الذي عرفتته، وتلتصق به.»

«وعندما انتهى حديثه، سألتني عما قررت. فأخبرته بأنني قررت العودة إلى البيت، عند ذلك صافحني وانزلني على مسافة ميل من البيت، وعندما سألته عن اسمه، قال: «بدوين». لقد كافحت طوال حياتي فلم احصد شيئاً، ولكن عليك أن تستعمل مالدك وذلك لكي تصل إلي ما تريد، خذ الحسن، وتجاهل السيء، وهذا ليس سهلاً، ولكن الحياة نفسها ليست سهلة هي أيضاً.»

سكت ماتيو فقالت بركة: «تابع كلامك.»

«قضت سنوات لم يعلم فيها احد من البيت بمحاولتي الهرب تلك. لقد حصلت في ذلك الصيف، عندما اكملت السادسة عشرة، على عمل في موقف شاحنات، وقد ثار غضب أبي عندما علم بعدم نيّتي في العمل بشحن سفن ماغنوم، ولكنه لم يستطع أن يجعلني أغير رأيي، وفي الثامنة عشرة تركت البيت لألتحق بالجامعة وحصلت على عمل بنصف دوام بصفة ميكانيكي في موقف شاحنات قرب الجامعة، وقد

وقيت لهما بعد إلى سائق شاحنة، لقد كان كلام بدوين صحيحاً، فقد استغرق الأمر الدراسة الجامعية وخمس سنوات من العمل بصفة موظف بإدارة الأعمال في شركة، وذلك لكي اجمع المال الكافي لشراء أول شاحنة لي.»

فتحدثت مارغريت: «هذا هو السبب إذن في انك اطلقت على شركتك، اسم بدوين؟»

«لقد افادني بدوين في تلك الليلة أكثر مما افادني والذي، لقد وجهني إلى الحواب.»

«هل عدت وقابلته بعد ذلك؟»

فاوما قائلاً: «عندما ابتدأت أسوق الشاحنات سألت بعض السائقين عنه، وذات يوم خاطبني إلى موقف الشاحنات الذي كنت أعمل فيه، وأخبرني انه تقاعد عن العمل ولديه منزل صغير عند بحيرة ميشيغن، أخبرته بما أقوم به، وكيف انني مدين له بما فعله لي، فلم يهتم بشكري وقال انه كان لدي دوماً امكانيات وافرة وانني فقط بحاجة إلى من يذكرني بها، وبعد ذلك اخذنا نتحدث معاً مرة في الشهر، وقد مات بعد ان فتحت شركة شحن بدوين بشهر، ولكنني مسرور لأنه علم بأنني اطلقت اسمه على شركتي.»

وسادهما جو عن الارتياح بينما كان الظلام يزداد في الخارج.

سألته بعد فترة: «هل تريد قهوة؟»

وأوما هو بالإيجاب.

وبينما كانت تعد القهوة في المطبخ، اخذت تفكر في ما حدثها به ماتيو عن حياته. لقد كانت لدى بدوين فكرة عن الحياة الانسانية أكبر عن أكثر الأطباء النفسانيين.

كان ماتييو واقفاً بجانب التلفزيون، ينظر في ملف كانت أحضرته معها، عندما دخلت هي بصينية القهوة.

سألها: «هل اعتزمت العمل هذه الليلة؟»

«أردت فقط أن أجدد المعلومات في الملفات التي مارلت محتفظة بها منذ ابتدأت العمل في معهد إدواردز».

«هذه الفتاة التي يذكرها الحلف، فيكي بارودز، ماذا كان شأنها؟»

فجاءت مارغريت ثقلاً بقربه وتنظر إلى صورة الشقراء الباسمة والتي تبلغ الثانية عشرة من عمرها، وقالت: «إن فيكي تعاني من شلل في المخ، وقد عثر عليها في مخزن لخلل قديم في ذلك منذ ستة. وقد اكتشف الدكتور إدواردز أنه لم يحاول أن يتصل بها أحد، وفي المعهد، لم تكن تفعل سوى الاستلقاء في السرير والتحديث في السقف طوال النهار، ولكن الدكتور إدواردز كان مقتنعاً بأن بإمكان فيكي أن تفهم ما يقال لها. ولكن أصبح من عادتها فقط أن لا تستجيب. فأخذت أنا أقرأ لها، وفي خلال أسبوع، أصبحت فيكي تدير رأسها وتنظر إلى الباب في انتظار خطواتي كل صباح. وعندما أخذت تتجاوب مع صوتي وحضوري، أصبح تعليمها مصدر سرور لي».

فسألها: «لماذا هذا المعهد هو الوحيد من نوعه في البلاد؟»

«إن الدكتور إدواردز يحب أن يفتح فرعاً له، ولكن ليس من السهل العثور على الشخص المناسب لإدارته، لأن عمله لن يكون من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً... وإنما على مدار الساعة، وليس هناك أطباء كثيرون بحساسية الدكتور إدواردز».

لم تذكر مارغريت أنها كانت اقترحت بلدة إنشواتر مكاناً مثالياً لفرع آخر لأن الأرض كانت رخيصة تماماً هنا.

«قد يكون بإمكانني المساعدة في ذلك».

فاحمر وجهها وقالت بسرعة: «أنني لم أقصد التلميح إلى أي شيء».

«أنا أعلم أنك لم تقصدي ذلك، يا مارغريت، وأنا لا أقدم مالا، وإنما فقط أجعل الدكتور إدواردز على اتصال بشخص بإمكانه المساعدة في تمويل فرع جديد في الساحل الغربي».

فسألته: «ومن هو؟»

«أن باتريشيا شقيقتي الثانية وقد اتخذت مهنتها تدبير أموالين، وسيسررها الاتصال بالدكتور إدواردز والتحدث معه عن نوع عملها».

فقالت: «إذا أنت أعطيتني رقم هاتف شقيقك سأعطيه للدكتور إدواردز وأطلب منه الاتصال بها إذا اهتم بهذه الفكرة».

فقال ماتييو: «سأعطيك إحدى بطاقات عمل باتريشيا. إن تخصصها هو في إقامة احتفالات للممولين يدفع الواحد منهم خمسة آلاف دولار ثمن طبق عشائه».

حدثت مارغريت إليه فالحياة التي يتحدث عنها هي خارج مفهومها.

فقد ماتييو يده ومس أنفها بإصبعه وهو يقول: «لا تحاولي أن تفهمي شيئاً، أن باتريشيا تقول أنها تسدي معروفاً للتعاملين معها وذلك بإقامة هذه المناسبات، فتوسطها في الحصول على تبرعاتهم إنما لترفع من شأنهم».

فقالت ثديها: «إن الدكتور إدواردز ليس من نوع الرجال الذين يسمحون بأن يسيطر عليهم أحد لمجرد تبرعه لمشروع لهم».

«إن التبرعات تمنح دون شروط، وبضمان باتريشيا بأن التمويل سيستعمل للغرض المعني.»

فقالت: «هذا يبدو رائعاً.»

أخذت تفكر في أن تجح هذا الأمر، واختار الدكتور إدوارد بناء فرع ثان في إتشواتر، قدامكانها أن تعيش في بيتها مع عمتها، وترى ماتييو يومياً، وقالت: «سأخبر الدكتور إدوارد بشأن ما تحدثنا عنه.»

ثم سألته لتغيير الموضوع: «كيف كانت رحلتك؟»

«كنت مشغولاً جداً، فالعمل والاجتماعات أخذت الكثير من وقتي حتى بالكاد كنت أستطيع العودة إلى المنزل كل مساء لأقرأ لابنة أختي حكاية سندريلا قبل النوم.»

«هل أقيمت في منزل شقيقك؟»

«إن لدينا أنا وباتريشيا وسوزان منزلاً وسط تسعة قدادين.»

أحست مارغريت بكراهية ماتييو للحديث عن حياته في لوس أنجلوس، فسألته بسرعة: «وهل تقرأ لابنة أخذك نفس حكاية سندريلا كل ليلة؟»

فاوما باسمأ بينما أخذت هي تفكر في جواب ماتييو المختلفة التي رأتها فيه. رئيس العمل المتعاون، الرفيق الدائم العزاج، الصديق المخلص وتصويره يقرأ صابراً، حكاية قبل النوم لطفلة في الثالثة من عمرها، وغموت هذه التصورات نفسها بالمشاعر. لقد كانت صورة ماتييو، الرجل تحتل المزيد من أفكارها، طاردة صورة ماتييو المتعامل بأمور الشح.

عاد إلى الملف وحدثته هي قليلاً عن كل واحد من العشرة أولاد الذين كانت تعلمهم.

عندما وصلا إلى الصورة الأخيرة، نظر ماتييو إليها قائلاً: «إنك تحبين عملك كثيراً، أليس كذلك؟»

فاوماًت بينما تابع يقول: «تماماً كما أحب أنا الشح.»
أختنقت أنفاسها في حلقها، هل قال ذلك تحدياً منه لها؟
والتفت ماتييو إليها قائلاً بلهجة جادة: «لقد تسلمت شاحنة صنعت حديثاً في لوس أنجلوس، هل لك أن تأتي غداً لتجربها معاً، يا مارغريت؟»

فابتلعت مارغريت ريقها غير قادرة على السيطرة على الخوف الذي تملكها،

وعاد هو يقول بعد لحظة صمت: «إذا كنت تشعرين بأن ليس بإمكانك هذا، فسأقهم شعورك.»

فهرزت مارغريت رأسها: «سأتي معك.» وكان صوتها يمتزج فيه الخوف بالتصميم. لقد حان الوقت للتوقف عن الهرب.

الفصل الثامن

تظرت مارغريت إلى كومة الثياب على السرير وتأوهت، ثم مالت نحو المرأة تنظر إلى صورتها فيها. لم يكن البنطلون الجينز والقميص اللذان ترتديهما، لائقين وكذلك لم تكن ملابس الخروج الأخرى التي لديها. ونهبتها إلى ما حولها قوع على الباب. كان تيمى واقفاً عند العتبة وقد بدا عليه الضيق.

«أدخل يا تيمى.»

لم يتحرك من مكانه وهو يقول: «فقط أريد أن أقول إننى آسف لخروجي عن الأدب الليلة الحاضية.»

«لا بأس، أظننى كنت أبدو من وجهة نظرك، على شيء من المبالغة بالنسبة إليك.»

أرادت أن تتوسع في الشرح، عن خوفها من أن تفقد، ولكنها خافت من أن تشير عذامه مرة أخرى.

«عليّ أن أذهب وإلا تأخرت عن عملي، إلى اللقاء.»

«إلى اللقاء.» لم تكن تستطيع أن تقول شيئاً آخر، فقد توارى تيمى.

«إن قانت هنا.» قالت ذلك المرأة جانباً وهي تدخل الغرفة بعد ذلك بدقائق، لقد كنت أعجب لما أسمعه من أصوات آتية من هنا منذ ساعة، هل تجمعين بعض الملابس للتصدق بها؟»

فقالت مارغريت: «كلا، ولكنني أختار ما سارتديه.» وأخذت تبحث خلال كومة الملابس عن وشاحها.

«إلى أين أنت ذاهبة؟ كل مرة تبدو غرفتك فيها وكأن زلزالاً قد حدث. أدرك أنك تهينين بعمل شيء.»

سألتها مارغريت: «هل هذه هي عادتي، حقاً؟»

أومأت المرأة، بينما قالت مارغريت وهي تلقي بأشياءها على الأرض: «أنتظنين هذا التوب غير مناسب؟»

«هذا يتوقف على المناسبة التي ترتدينه فيها.»

«إننى ذاهبة للزفة مع ماتيوي في إحدى شاحناته.»

لم تر مارغريت كيف رفعت عمتها حاجبيها، وهي تقول إنه جميل، عليّ أن أذهب الآن، أظننى سمعت رنين الهاتف..»

فرقعت مارغريت بصورها بدهشة، وهي تحمل وشاحها بيدها، أي هاتف سمعته عمتها؟ قالها تلف الملحوظ والموجود في غرفتها لم يصدر عنه صوت، نظرت إلى صورتها في المرأة وهي تعتقد وشاحها حول عنقها. لقد كانت الهالات القاتمة حول عينيها شاهدة على الليلة الحافلة بالقلق التي أمضتها.

وبدا وكأن صورتها في المرأة تسألها: «أما كان أسهل عليك لو أخبرت ماتيوي بعدم رغبتك في الخروج معه؟»

«حسناً...» ألقت مارغريت الوشاح من يدها وتناولت بدلاً منه جاكيت قطنية خفيفة ثم اتجهت نحو الباب. كان ذلك أسهل، طبعاً ولكن السهولة ليست من سمات الحياة.

أخذت مارغريت تنتظر إلى ماتيوي وهو يوقف السيارة أمام المطعم، وقد جفّت فمها، وفكرت، في أن ليس بإمكانها أن تقوم بذلك، لقد كانت شاحنة أبيها ذات لون أبيض وأسود. أما هذه فكان لونها أزرق وفضيأ، وكان شكل

الغطاء مختلفاً كلياً، ولكن المخاروف القديمة المألوفة ثارت بسجود النظر إليها ما سترها في أرضها.

أشاحت بوجهها عندما قفز ماثيو عن الشاحنة ثم تقدم نحو المطعم.

علي أن أذهب إلى عمتي، وهي ستعتزل له بأنني عريضة أو بأي شيء.

ولكن نباح جرو أوقفها في مكانها، واستدارت ببطء، كان ماثيو يحمل بين يديه حزمة من الفراء تحديق منها إليها عياناً كحزنتين قامتا وسط وجهه يغطينه شعر كثيف.

سألته وهي تنظر إلى الجرو: «أين وجدته؟»

«كان يطوف نائهاً حول موقف الشاحنات.»

«أنتظن أن هناك من هجره.»

فهز ماثيو كتفيه: «هذا ممكن.»

«كان يمكنك أن تستدعي جمعية الرفق بالحيوان لتأتي وتأخذه.»

قال وقد بدا عليه شيء من الارتباك: «رأيتُه صغيراً للغاية.»

«أظنه جائعاً.» وأحضرت مارغريت طبقاً وعلبة حليب. وضع ماثيو الجرو على الأرض وأخذ الاثنان يراقبانه وهو يشرب الحليب واضعاً مخالبه في الطبق وكأنه يخاف أن يهرب منه.

ابتسمت مارغريت: «أظن لدى عمتي سلة قديمة لم تعد تستعملها، وهي تصلح قرأشاً حسناً له. سأذهب وأحضرها له.»

عادت بالسلة ووسادة قديمة لتجد ماثيو قد خرج بالجرو إلى الفناء.

وقال لها: «لم أكن أريد» أن يشيع الفوضى في المطعم. هل تمانعين في أخذه معنا؟»

«كلا طبعاً.»

فوضع الجرو في السلة وعن ثم في أرض الشاحنة، ثم استدار إلى حيث فتح لها الباب، ثم رفعها إلى أول درجة وهو يحذرهما قائلاً: «انتهي إلى رأسك وأنت تدخلين.»

وأخذت تتفحص داخل الشاحنة. خلف مقعديهما المنفصلين في الأمام، كان هناك مقعد آخر مستطيل، وخلفه كان يوجد ستار.

صعد ماثيو ثم انتقل إلى المقعد الخلفي وقال: «تعالني وانظري.» وكان في صوته كل زهو صبي يعرض لعبة جديدة.

فوقفت، ثم دخلت إلى المقعد الخلفي بينما كان هو يزيح الستار إلى جانب. وأخذت تحديق إلى السرير المزدوج الذي كان يحتل معظم المساحة في الشاحنة.

قال بزهو يذكر كل الملحقات الموجودة: «ستيريو، تلفزيون، فيديو، ثلاثة.» وسحب درجيتين كبيرتين من تحت السرير.

«هنا يمكنك وضع ملابسك حتى أنه يوجد باب خاص تدخلين منه. إنه بيت بعيد عن البيت.»

قالت وهي تعود إلى مقعدها: «هذا جميل جداً.»

فقال: «عندما يكون هناك سائقان في الرحلات الطويلة، أحدهما ينام، عادة، بينما يستلم الآخر القيادة. فوجود

سرير يوفر الوقت. حتى ولو كان السائق وحده، يمكنه أن يوقف شاحنته في منطقة استراحة، ثم ينام متى شعر

بالتعب، دون أن يكون ثمة حاجة إلى أن يبحث عن نزل يبيت فيه ليلته.»

عندما تحركت بهما الشاحنة، أخذت هي تنظر من النافذة. جلست متوترة ويدها مقبضتان، قد تصاب بالغثيان في أي لحظة. وعندما دخلت الشاحنة الأوتوستراد ظلت هي تنتظر.

وشيئاً فشيئاً، أخذت التكريات تطفو من أعماقها. أمها تقرأ لها بينما الشاحنة تتطرق على الأوتوستراد. وهي في المقعد الخلفي ترسم، أو تحيك وشاحاً لدميها، والدها يوقف الشاحنة عند المعرض وذلك ليتمكنها ركوب الأرجوحة. تيمى، جالساً على كتفي والده، وهو يقول: «انظري، يا مارغريت إننى الآن أطول قامه منك».

طرقت مارغريت بأجفانها تحدث نفسها وكأنها قد اكتشفت شيئاً: لقد كنت سعيدة بركوب الشاحنة معهم، سعيدة جداً.

غابتسم ماتيو. لقد تطورت الأمور بشكل أفضل مما كان يرجو، لقد كانت عمته جانيت اتصلت به قبل أن يغادر مكتبه، وجعلته يعدها بأن يعيد مارغريت إلى البيت إذا بدا عليها أي أثر من الكآبة. وماتيو نفسه تملكه الضيق وهو يتساءل عما إذا كان سبب لمارغريت ضغطاً على أعصابها بدعوتها بالخروج معه، ولكن كلماتها هذه طمأنته إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام، وطلعت صورة أخرى من الماضي تذكرها بأن ليس كل تكرياتها المقترنة بالشحن كانت سيئة.

وسمعها تقول: «إن حزني لموتها قد أقفل ذهني عن كل شيء آخر، كيف حدث ونسيت كل تلك الأوقات السعيدة التي أمضيتها معاً؟ لقد كان أبي يسن كثيراً عندما كنا نتمكن

جميعاً من مرافقته في إحدى رحلاته الطويلة. وأنا أيضاً كنت أحب ذلك».

ومن الراديو، أخذ صوت حزين يندبن بكلمات عن الحب والألم، ولكن ماتيو أغلقه.

«كانت أسي ثواقفه غالباً في رحلاته لأنه كان سائق رحلات طويلة. كان من الصعب عليها أن تتركنا في البيت، ولكنها أخبرتني عن الوحشة التي كان يشعر بها أبي في الطرقات إذا لم تكن معه، ولولا مرافقتها له لما كانت رآته سوى مرة في الشهر. لقد سمعتها تخبر العمة جانيت مرة بأن أصعب ما كان عليها أن تفعل هو الاختيار بين زواجها وأولادها، لم أفهم في ذلك الحين، ولكنني أفهم الآن. وأنا مسرورة لأنها كانت قررت مرافقته».

عندما انتهت مارغريت من حديثها، ساد الصمت فترة إلى أن مال ماتيو إلى الأمام وضغط زرّاً، وعلى الفور تعالى صوت يقول: «هنا الذئب الوحيد هنا الذئب الوحيد. هل هناك من يسمعي؟ ما زالت أمامي أميال دون أن أنكلم مع أحد، وأوتار صوتي ابتدأت تضعف».

نظرت مارغريت إلى الراديو بينما رفع ماتيو الساعة: «هنا بدوين الثاني يا الذئب الوحيد. إلى أين أنت ذاهب؟»

«إلى سان فرانسيسكو، وأنت؟»

«فقط على امتداد الشاطئ»، فتنحن في نزلة.

«آه، نعم، من معك؟ حبيبك؟»

«ليس تماماً»، وتبادل مع مارغريت ابتسامة: «ولكنني

أعمل في سبيل ذلك».

فاحمر وجه مارغريت، وأشاحت بوجهها تنظر من النافذة.

«حسناً، بإمكانها أن تقول مرحباً لسائق عجوز».
ناولها ماتيو السماعة، فأخذتها منه وهي تقول:
«مرحباً».

«مرحباً يا عزيزتي، هل لديك اسم للنداء؟»
ترددت مارغريت لحظة ثم قالت: «كلا».
«يجب أن يكون لك ذلك. ألا تستطيع التفكير في اسم لها، يا
بدوين الثاني؟»

نظر ماتيو بعطف عينه إلى مارغريت، وقال: «حسناً، إن
لديها أحياناً نظرة تعني إلزم مكانك».
قال الذئب الوحيد مقترحاً: «ما رأيك باسم الثلج
الأبيض؟»

وضحكت مارغريت. فقال ماتيو: «إن لها شعراً أحمر
رائع الجمال، فاسم الثلج الأبيض لا يتناسبها».

«ما رأيك باسم الوردة الحمراء، إذن؟ لقد قرأت قصة بهذا
الاسم لحفيدي الليلة الماضية، إنه في الثالثة من عمره. إنني
أحبها دوماً، ولكنه لا يلبث أن يغتر عليها، تباً لي إذا كنت
أعرف لماذا يريدني أن أقرأ له هذه الحكاية نفسها كل ليلة».
قال ماتيو وهو يناول مارغريت السماعة: «إن اسم
الوردة الحمراء جميل جداً».

فقال الذئب الوحيد: «أهلاً بك في الأسرة، يا الوردة
الحمراء».

فسألت: «الأسرة؟»

«نعم، فنحن سائقو الشاحنات، أسرة كبيرة، انتهي إلى
أنني لا أقول سعيدة، لأننا لسنا دوماً سعداء، ولكننا في
الطرق، عندما نشعر بالوحدة لا يكون أمامنا سوى الأصوات

الأخرى، إن قيادة الشاحنة من ثماني إلى عشر ساعات
يوميّاً تجعلنا نشعر بوحدة بالغة نحن سائقو المصافلات
الطويلة، بعضنا ليس لديه من ينتظره في بيته، واتصالاتنا
الوحيدة هي أثناء الشحن والتفلات».

فسألت: «منذ متى تعمل سائق شاحنة؟»

«منذ أربعين عاماً. ابتدأت منذ كنت في العشرين، ولم
أشأ أن أقوم بعمل آخر قط، لقد تركتني زوجتي لأنها لم تكن
تراني مطلقاً، ولكن ابنتي متفهمة لوضعي هذا، وبين
الرحلات أقدم عندها، إن هذه الشاحنة هي عندي أغلى من
كل شيء آخر في العالم، وأنا أرجو أن أموت فيها».

لقد كان والدها يشعر نحو عمله بنفس الشيء هو أيضاً.
لقد سمعته مرة يقول: «على الرجل أن يزاوِل العمل الذي
يحبه ليستطيع أن يعتنه أفضل ما لديه».

«أي نوع من العمل تقومين به، يا الوردة الحمراء؟»

واستمع ماتيو إلى مارغريت وهي تصف عملها. كان
صوتها يفيض حوله فيغمره برقته. كان يوضح لمن
يعرفهن من النساء أنه لا يريد علاقة طويلة الأمد، أما مع
مارغريت، فهو يريد أن يبني قصوراً في الهواء، ولكن ماتيو
كان يعلم أن الأحلام لا يمكن أن تبقى معلقة في الهواء. إنها
بحاجة إلى أساس متين صلب. أما ما لا يعرفه فهو ما إذا
كان لديه ما يصلح لبناء هذا الأساس.

قال ماتيو: «عليّ أن أتاركك الآن، يا الذئب الوحيد، فإن
عليّ أن أتوجه من هنا نحو البحر على الطرق الجبلية».
فقال الذئب الوحيد: «إنني أعرف مكاناً حسناً، عند رقم
١٠١، بدلاً من أن تعبر الأوتوستراد، توجه جنوباً نحو ميل

ونصف، ثم قف في مركز الاستراحة هناك ومن ثم انزل المنحدر الذي خلفه، وعندما تصل إلى الشاطئ، استدر إلى يمينك فترى خليجاً صغيراً متوارياً عن الأعين كما في الأفلام، إنني لم أخير أحداً غيرك عن هذا المكان، ولكن الوردة تستحق جلسة رائعة»

فقال ماتيو: «شكراً يا الذئب الوحيد»

قالت مارغريت: «إلى اللقاء» وتودعت برهة ثم عادت تقول: «أتمنى لك عملاً سعيداً في الشحن»

فقال الذئب الوحيد آمراً: «استمتع بوقتك مع الوردة الحمراء يا بدوين الثاني، فالشباب لا يأتني مرتين»

قادتاهما تعليمات الذئب الوحيد مباشرة إلى المكان المعتزل ذلك، وكانت المياه تتلاطم مزيدة في تدافعها إلى الشاطئ، كانت الرمال ناعمة للقایة، ما شعرت مارغريت معه

بأن قدميها تغوصان فيه. وكان الجرو يهمهم بين ذراعيها.

قال ماتيو: «ضعيه على الأرض، فهو لن يضيع هنا»

وأخذ الجرو يتخبط في الرمال الناعمة محاولاً أن يحتفظ فيها بتوازنه، وجعلت جهود هذه مارغريت تنقسم

ثم تقول لماتيو: «هل فكرت في اسم له؟»

فسألها: «ماذا تظنين في اسم رملي؟»

ضحك الاثنان بينما جلس الجرو فجأة وقد أدار رأسه إلى ناحية، محاولاً أن يفهم الشيء الذي بين أقدامه. كان اسم رملي مناسباً جداً له.

مد ماتيو بساطاً على الرمال بينما أخذت هي تنظر بهدنة وهو يأخذ في اخراج وليمة من السلة التي كانت

العمة جانيت قد زودتهما بها، كان هناك الخبز وسلطة

النجاح ومجموعة متنوعة من الفطائر وثيرمس يحتوي على شاي وكعك بيتي، وكيس من البطاطا المقلية.

فقالت مارغريت مازحة: «أثرانا لن نعود أبداً»

نظر إليها بجد. وعندما تشابكت نظراتهما، خفق قلبها. وعشجها زعيق طائر الفورس العنبر في أن تحول نظراتها

بعيداً. كان الطائر في الواقع، يطارد الجرو.

فركضت مارغريت تحمل الجرو الذي كان يهمهم، وفي نقول له برقة: «هل يخيفك ذلك الطائر؟» وعندما رفعت

بصرها رأت ماتيو ينظر إليها ضاحكاً، فسألته: «ما الذي يضحكك؟»

«أعلمين أن لهجتك هذه هي نفسها التي تخاطبين بها ميكي؟»

فسألته بارتياك: «أي لهجة؟»

«هذه اللهجة الناعمة المناعية» قال ذلك وهو يسكب الحليب من علبة في طبق من البلاستيك للجرو. «لا شك أن

ميكي تظن أنها هي وحدها ملهمة هذا النوع من الحنان» ضحكت مارغريت وهي تجلس على البساط. نظرت إلى

الطبق ثم إلى وجه ماتيو: «ماتيو، متى حصلت على الجرو بالضبط؟»

ولاحظ هو أن بصرها كان على علبة الحليب الكرتونية التي في يده. وهذا يعني أنه قد كان أحضر معه الحليب

وطبق البلاستيك مع أن المفروض أنه وجد الجرو في آخر بقية أثناء حضوره لأخذها من بيتها.

وأجاب: «صباح أمس»

«لماذا أحضرته معك إذن؟»

فقال ببطء: «فكرت في أنه قد يلهيك عن مخاوفك من ركوب الشاحنة، لقد أردته ملهاة لك..»

حتى قبل تحذير العمه جانيث له، كان هو قد فكر مرتين بما كان سيقوم به، وعندما رأى الجرو يعدو حول مكتبه، أحضره معه ليساعده في إلهاء مارغريت.

قالت له: «شكراً يا ماتييو..»

وعندما أنهى الجرو طعامه، حاول أن يتسلق ركبة مارغريت إلى حضنها، فأخذت تربت على رأسه. ومع أن مخاوفها العنيفة السابقة قد تبددت، إلا أنها ما زالت لا تستطيع أن تتخلص من الخوف مما قد يقود عمل أخيها في الشاحن، إليه «ماذا جرى لك، يا مارغريت؟»

«إنني أفكر في تيمى. إنه لا يكاد يتحدث إليّ، وأنا دوماً أحدث نفسي بأنني إذا لم أغير موقفى منه، فسأخسر» ولكنني ما زلت لا أريده أن تكون له علاقة بالشحن..»

تتهد ماتييو: «كنت أرجو أن يغيّر هذا النهار رأيك..»

لقد حدث ذلك، ولكن من ناحية واحدة فقط فقد اكتشفت أنني استمتع بركوب الشاحنة، ولا بد أن لدى تيمى ذكريات مثلي مدغونة في عقله الباطني، ما جعله مضطرباً على اتباع الطريق التي يريدها، لا يبدو أن بإمكانى التحرر من مخاوفي أو أعير الهوة التي بيننا..»

فقال: «التحرر من المخاوف ليس سهلاً أبداً، فمتى ستوات قليلة كنت أنا في نفس الوضع الذي أنت فيه الآن..»

«حدثني عن ذلك..»

«عندما تخرجت شقيقتى سوزان من الجامعة، قررت أن تتحقق بقوات السلام، وكنت أنا ضد هذه الفكرة، إلى أن

لربكت أخيراً أنني أتصرف مثل أبي، وقد استغرق مني جهداً حقيقياً لكي أتذكر أن سوزان تميل إلى نفس الحرية التي أمضيت حياتي أتوق إليها، عند ذلك قلت لسوزان إنني سأساندها مهما كان ما تريده. فسافرت إلى إفريقيا لمدة سنتين وكانت سعيدة جداً هناك. وهكذا كانت كل مخاوفي عن أن يحصل لها شيء سيء جداً، كانت دون أساس..»

قالت مارغريت وكأنها تحدث نفسها، وبصوت يمتزج فيه الحزن بالغضب: «طوال السنوات التي مضت، لم يقل لي أحد شيئاً بشأن ترك تيمى وشأنه، العمه جانيث، تيمى.. جو.. كانوا جميعاً يشعرون بالأسى لأجلي، ما جعلهم يتركونني أستمع في الطريقة التي كنت عليها..»

«إنهم يحبونك كثيراً إلى حد لا يريدون أن يجرحوك، يا مارغريت..»

فهيأت رأسها: «أما ما فعلته أنت، فقد كان مغامرة منك، لأن الأمر لا يخصك شخصياً..»

حدث ماتييو إليها، لقد حدثه شيء ما بأن أمرها أصبح يخصه أكثر مما كان يريد، لم يكن قد حلّ بعد مشاعره نحو مارغريت.. كل ما كان يعرفه أنها جذبت أكثر من أي امرأة أخرى عرفها في حياته.

لقد تحدثت مع تيمى عن الجامعة، وقد وافق على التقدم إلى الامتحان التمهيدي، لا يمكنني أن أعدك بأنه سيصبح مهندساً، ولكنني أخبرته كم ساعدتني شهادتي في مهنتي هذه..»

«شكراً يا ماتييو..»

لقد شعرت لذلك ببعض الارتياح، ففي الوقت الذي يحصل

فيه تيمى على شهادته قد يكون غير رأيه بالنسبة إلى الشحن.

فقال ماتيو: «لقد سألتى تيمى عما إذا كان بإمكانه أن يسافر في رحلة ليلية.»

خفق قلبها احتجاجاً للحال. ولكنها أرغمت نفسها على القول بهدوء: «أظنه سيستمتع بذلك.»

«لقد وعدته بعمل صيفي منتظم في شركة شحن بدوية عندما يدخل الجامعة. وبعد، فقد يعود فيرى أن الشحن لا يناسبه. ولكن الواقع هو أن التصميم على ذلك يجب أن يكون عائداً إليه وحده.»

فقالت: «أعلم ذلك.»

بعد أن علموا حاجياتهم، خلع ماتيو خذاه وهدّيه إلى مارغريت: «دعينا نذهب لتعشى.»

سارا على الشاطئ حيث كانت الأمواج تغسل أقدامهما. سألتها: «أتريدين أن نسيح شوطاً؟»

فاجابت: «أنا لا أحسن السباحة تماماً.»

وسمعا الجرو ينبع، فقالت: «سأنتساق معك إلى مكاننا.» وقبل أن تنهى تحديقها ذاك كانت قد انطلقت راكمسة. ومع هذا فقد سبقها ماتيو. وعندما ألقت بنفسها على البساط، قالت وهي تلهث: «هذا ليس عدلاً. لأن ساقيك طويلتان.» ثم قالت متذمرة: «عمتي جاتيت يوماً تطعمني كثيراً.»

فقال: «لا تكوني حساسة لخسارتك هذه، يا مارغريت.» فنظرت إلى وجهه، وتشابكت نظراتهما.

ساد الصمت بينهما لحظة كانت المشاعر بينهما وحدها تتحدث. جلست وقد تملكها الاضطراب: «ماتيو؟»

«لقد أصبح الجو بارداً هنا، من الأفضل أن نذهب.» نظرت غير مصدقة وهو يحمل المسلة والجرو ثم يتركها ويسير سراعاً.

تهضمت مارغريت واقفة، ثم لمت البساط، لحقت به. ما الذي جعلها تفصح عن مشاعرها نحوه بذلك الشكل؟ والتهيب وجهها للذكرى. لقد طعنها رفضه لها في صميم كرامتها، ثم كيف خرقت هي ما كانت عاهدت نفسها عليه بأن لا تقيم علاقة بينها وبين رجل؟

صعدت المنحدر، متجاهلة يده التي مدّها إليها لمساعدتها، ثم صعدت إلى الشاحنة حيث جلست مسندة رأسها إلى مسند المقعد وقد أغمضت عينيها. كان الشعور بالخزي يكاد يقتلها.

أخذ ماتيو يحرق في الطريق أمامه وقد قطب حاجبيه. وألقى عليها نظرة سريعة. كانت عيناها مغمضتين ورأسها على مسند المقعد الخلفي، وقد بدا عليها الضياع والوحدة.

الفصل التاسع

«أنا آسف، يا مارغريت..»

لكنها ظلت مغمضة العينين، كانت كلماته هذه مجرد
تصورات من مخيلتها، تصاماً كما كانت تصور أن يحبها.
«يجب أن نتحدث يا مارغريت..» ولكنها بقيت صامتة.
«مارغريت، انني أريدك بنفس المقدار الذي تريدني فيه..»
فتحت عينيها ونظرت إليه وهو يقول: «هل غيرت رأيك
بالتسبة لعدم رغبتك في إقامة علاقة شخصية بما يتصل
بالشحن؟»

فقالت ببطء: «لا أدري..»

«انني رجل شحن في اعمالتي، يا مارغريت، وقد كنت
مؤخراً مشغولاً بإنشاء شركة موقف الشاحنات، ولكن بعد أن
تستقر أموري وأستاجر المزيد من الموظفين، سأعود إلى
قيادة إحدى شاحناتي من وقت لآخر، فهذا ما أحبه أكثر من
أي شيء آخر، فإذا ما أردت أن تنجح علاقتنا، فعليك أن
تقبلي بي كما أنا، خمسة وسبعين في المائة رجل شاحنات،
 وخمسة وعشرين في المائة شخصية اجتماعية..»

لم تنطق مارغريت بكلمة، بينما تابع ماثيو يقول: «كان
سهلاً علينا أن نأخذ الآن ما تريد، ثم نفكر فيما بعد، ولكنني
لا أستطيع أن أفعل شيئاً كهذا، ذلك انني طوال طفولتي كنت
أرى ما كان يحدث في مثل هذه الحالة، فأنت لست من النوع
الذي يمر بعلاقة عاطفية دون أن يصاب بانزى، أو أن تبدأ أي

بها لفترة مؤقتة، كما انني لست مستعداً بعد للإلزام الدائم.
نحن الاثنين لدينا مشاكل شخصية علينا أن نحلها أولاً..»
ما كان لها أن تستاء من طريقته الواضحة في تحليل
السوق، فالدروس التي انطبعت في ذاكرة ماثيو عندما
كان طفلاً جعلته كما هو عليه الآن... غير عادي، وخطئاً
عن غيره، وفريداً بين الرجال.

«لكنني لا أريد التزاماً دائماً..» في اللحظة التي خرجت
بها هذه الكلمات من بين شفطيها، ازدرت ريقها، كانت
تدرك أن يفهم أنها لا تريد أن توقعه في فخ الزواج، ولكنها
كانت يفهم الآن أن كل ما تريده هو علاقة عاطفية دون
التباطؤ.

انضمت عينيها، مثل تخير ماثيو بأن أعرق مخاوفها هي
أن تفقد أولئك الذين تحبهم؟ وأن تجنب الحب هو ضمانها
الوحيد ضد الألم؟ وأنها مارلمت مشاعرها محبوسة،
ومارلمت لا تعتمد في سعادتها على أحد، فهي آمنة؟

تساءلت عما ستكون ردة الفعل عنده فيما لو أقصحت له
عن افكارها هذه، ولكن العناد أبقاها صامتة. فهذه مشكلة
سقوم هي وحدها بحلها.

سألته: «هل استطعتم القبض على أولئك الذين يسرقون
من شاحناتكم؟»

كانت تريد أن تحول الموضوع عن الناحية الشخصية،
ويبدو أنه أحس بذلك فقال: «لدي إحساس بأن ذلك يحدث في
موقف شاحنات معين بالقرب من فيغاس، أن سائق شاحناتي
يراقبون تلك البقعة، ولكن لم يقبض على أحد حتى الآن.. وفي
الأبوع الماضي وجد صندوق يحتوي على أجهزة الكترونية،

مفقوداً من إحدى شاحنتائنا، إن شركة التأمين ستعوض المسروقات هذه، ومع ذلك فما يحدث يقلقني.»

ونسألت مارغريت عما يفوي ماتييو عمله إذا هو ألقى القبض على اللصوص، هل سيعود إلى لوس أنجلوس؟ لقد أصبح الصيف في منتصفه وسرعان ما سيكون عليها في العودة إلى واشنطن.

مال ماتييو إلى الأمام وضغط مفتاح الإذاعة المحطية وأخذت مارغريت تستمع إلى الأصوات تتناقش في لعبة كرة السلة التي أقيمت الليلة الماضية، وفجأة، تدخل صوت يقول: «انتباه، انتباه، هنا سائق شاحنة في ورطة في طريق براون شمال سان لويس أوبيسيكو عند الكيلو ١٠١ الأوتوستراد، هل يوجد أحد في هذه المنطقة؟»

نظرت مارغريت إلى ماتييو وهو ينحني يلتقط الساعة «هنا بدوين الثاني، انني أبعد عنك مسافة عشر دقائق وهذا أنذا متوجه اليك على الفور.»

قاد الشاحنة بصمت مركزاً نظراته على الطريق وبعد ذلك بخمس دقائق، وقع بصرهما على شاحنة، وقف ماتييو خلفها وهو يطلق صفيراً طويلاً، كانت حمولتها مائتة بدرجة خطيرة، ولا شك أن السائق كان محظوظاً إذ لم تنقلب.

قال لمارغريت وهو يترجل عن الشاحنة: «إبقي هنا.» تفحصت أمر الجرو، ثم فتحت الباب بجانبها، ريد بإمكانها أن تساعد بشيء.

الترب ماتييو من السائق ومد إليه يده، وهو يقول باختصار: «انني ماغثوم، كيف حدث هذا؟»

وبينما كان السائق يوضح له الأمر، رأت مارغريت امرأة

وصبياً يجلسان على جانب الطريق، وكانت أعينهما سوداء تحديقان إليها بقلق، ولكنهما لم يبادلاها سلامتها.

سألتهما برقة: «هل أنتما بخير؟»

لكنهما بقيا يحديقان فيهما بصمت، ما جعلها تدرك أنهما لا يحستان الانكليزية، وكانت معرفتها هي بالأسبانية محدودة، ونظرت إلى حيث كان ماتييو والسائق يقفان الحبال التي تثبت الحمولة إلى الشاحنة.

ثم عادت بنظراتها إلى المرأة والصبي فرأت الدموع في عيني المرأة، فقالت لها برقة: «لا تقلقي.»

حولت المرأة بصرها عنها وهي تحتضن طفلها، بينما بصمت مارغريت واقفة، كان الاثنان شاعرين بالبرد كما يدو، في ثيابهما القطنية الخفيفة، فذهبت إلى الشاحنة وأحضرت بطانية وسلية ثم عادت إلى المرأة والصبي حيث وضعت البطانية حول كتفيهما ثم فتحت السلة وأخرجت حبة الكعك، وعندما قدمتها له حملق فيها الصبي غير مصدق، ولكنه نظر إلى أمه يستأذنها أولاً، ثم أخذ واحدة، ثم سكبت مارغريت قهوة من القرمس في فنجان قدمته للمرأة. قال ماتييو من خلفها: «سيمر بعض الوقت.»

«ما الذي حدث؟»

«الحمولة كبيرة جداً ولهذا أخذ السائق يسير في الطرق الجانبية في هذه الساعة، كان عليه أن يتجنب محطات الوزن التي تلخص وزن الحمولات، لقد قال ان الشاحنة كادت تنقلب في آخر منعطف، ولو حدث ذلك لقتلت أسرته على الأرجح، هذا هو الخطر الذي كانت ستعرض له بقية السيارات والركاب،

وسيمر بعض الوقت قبل أن تتمكن من إحكام ربط الحمولة مرة أخرى، أرجو أن لا تمنعني في ذلك».

لم تكن مارغريت قد رأت ماتيو قط من قبل في مثل هذا القصب، واجابت: «أنا في أحسن حال، استمر واعمل ما تراه مناسباً». عندما ابتعد ماتيو سمعت مارغريت نباحاً حاداً من داخل الشاحنة. ونظر الصبي إلى ناحية الصوت وقد ملأ العجب عينيته. فذهبت مارغريت واحضرت الجرو تضعه بجانب الصبي. فنظر هذا إليها، ثم مد يده يربط على الجرو متردداً، وقد تبدل هدوء ملاسحه إلى ابتسامة عريضة.

وأشارت هي إلى الجرو تقول: «رملي».

فاشرق وجه الصبي وهو يكرر في أثرها: «رملي».

يشير إلى نفسه قائلاً بخجل: «جوان».

فقال له: «مرحباً، يا جوان».

وبعث ضحك الصبي ابتسامة مترددة إلى وجه أمه. جلست مارغريت بجانبهما تسكب للمرأة فنجان قهوة آخر وتتنظر إلى جوان يلعب مع الجرو.

مضت ساعة قبل أن ينتهي ماتيو والرجل من العمل ويقبلا نحوهم.

سمعت الرجل يقول مرتين: «شكراً كثيراً يا سنيورا».

أجاب ماتيو باقتضاب: «لا بأس». وكان الغضب مازال يبدو في صوته.

وقف بجانبها ونظر إلى الصبي الذي كان يحمل الجرو بين ذراعيه، بينما كان الرجل يتحدث إلى زوجته بالأسبانية. وعندما فرغا من الحديث، قال ماتيو يقدمهما إلى بعضهما البعض: «هذا رامون، يا مارغريت».

قال رامون: «لم تمض علينا في هذه البلاد مدة طويلة. زوجتي وابني لا يعرفان الانكليزية، ولكن زوجتي تقول إنك تفهم مفهوم بكل اللغات يا سنيورا ونحن جميعاً نشكرك».

وقال رامون شيئاً لابنه، فبدأ الاكتئاب على وجهه وهو ينظر إلى الجرو الرائد بين ذراعيه. ورأوا شفتيه ترتجفان وهو يحتضن الجرو لآخر مرة، تبادلت مارغريت للنظرات مع ماتيو، وعندما رفع هذا حاجبه يسألها: «أومات في إحباطاً فقال للرجل: «إذا كان ابنك يجب أن يأخذ الجرو، وإذا كان بإمكانك أنت أن تعتني به جيداً، فأنا أعطيه له».

رأت مارغريت وجه الصبي يشرق والده يترجم له ما قاله سنيو، بينما ابتست الأم والأب يلتفت إليهما: «شكراً يا سنيورا، إن ابني يشعر بالوحدة منذ غادرتنا مكسيكو، ربما الجرو سيجعله سعيداً مرة أخرى».

ساعد زوجته وابنه في الصعود إلى شاحنته، بينما ألفت مارغريت إلى جانب ماتيو، وأخذاً ينظران إلى الشاحنة وهي تبتعد بعد تكرار الشكر لهما.

استدار ماتيو إليها: «هل أنت متعبة؟»

فهزت رأسها: «أنتي مسرورة لتمكننا من المساعدة». وإن تكررت القلق في وجه الزوجة، والخوف في وجه الصبي، تمتعت في وجد هؤلاء المهاجرون الحياة أكثر يسراً، وإن نظرت إلى سنيو لاحظت توتراً في ملاسحه، فسألت: «لماذا أنت غاضب؟».

«أنتي غاضب من رئيس كالذي لدى رامون، رجل يفامر حياة الآخرين فقط لكي ينقل حمولة أكبر ليكسب مالاً أكثر، هل هذا الرجل يجب أن تقدم به شكوى، فهو من النوع الذي يرغم مرفؤسيه على العمل ساعات اطول، وتزيف سجل

كلمات ماتيو: «انتي سائق شاحنة خمسة وسبعين بالمائة، وخمسة وعشرين بالمائة شخصية اجتماعية.»

أضحت مارغريت المساء في تفصيل ثوب لها، ثم نزلت بعد ذلك إلى الحديقة، كان تيمى في الخارج كما كانت العمة جانيت تتحدث إلى أحد زبائن المطعم.

كانت تتصفح مجلة عندما لفت انتباهها حركة عند الباب، ورفعت رأسها في نفس الوقت الذي كان فيه تيمى يتراجع بسرعة. شعرت بغصة في حلقها، يبدو أن شقيقها مصمم على تجنبها، لم تر جمال هذا المساء الصيفي الرائع، كل ما كانت تراه هو الخوف الكامن في قلبها من أن تيمى يزداد ابتعاداً عنها كل يوم، وتحداها عقلها بأن تنظر إلى الوضع من وجهة نظر الاثنين..

(كيف بإمكانى رعايته إذا هو لم يشأ ذلك؟)
(هذا الوضع لن يدوم مدى الحياة، رغم أنك تظنين ذلك، لأن تيمى ناضج إلى حد يكفي ليكون مسؤولاً عن حياته.)
(وماذا لو فشل؟)

(عليه أن يتعلم كيف ينهض من كبوته، ويغضض عنه لغيره، ثم يتابع حياته.)
سمعت صرير بوابة الحديقة فرفعت رأسها: «ماتيو، مرحباً، يا مارغريت.»

كانت ترتدي ثوباً يلون القشدة فبدت له جذابة للغاية. وقالت له: «إن عمتي في المطعم.»

قال وهو يناولها وردة اقتطفها من حديقته: «انني جئت لأراك أنت.» لقد كانت زققة هذه الوردة تذكرته بمارغريت... فهي ناعمة رقيقة خجول مثليها.

السرعة التي يسرون بها، والسائقون امثال رامون هم جدد يخالفون تقديم شكوى به إلى السلطة المختصة، وأراهن على أن رامون لا يحصل حتى على أجر منظم.»

فسألته: «وماذا بإمكانك أن تفعل بهذا الشأن؟»

أجاب: «لقد حصلت من رامون على اسم المسؤول. واتصال به هاتقياً وأخبره بأن سائقي شركتي سيراقيون شاحناته بصورة دائمة فإذا لم يبدأ بالاستجابة إلى ضرورات الأمان للسائقين على الفور، فسأتقدم بشكوى ضده، فهو لطخة سوداء على الصناعة.»

أخذت مارغريت تحديق من النافذة، وفكرت في ما كان ماتيو قاله في الماضي: «انني اهتم بك ويتيمى كما يهتم أي رجل شريف بالآخرين.»

فاهتمامه لا ينحصر فقط بالناس الذين يعرفهم، بل يمتد إلى كل انسان مهما كان جنته ولونه، انه من نوع نادر من الرجال في عصر لا يكاد الناس يفكرون في ما هو بعيد عن ذواتهم.

أخذت مارغريت تهز ميكى في كرسيها بينما كانت جيت تطوي الملابس الممسولة.

سألتها مارغريت وهي تراها صامدة على غير عادتها: «كيف الحال بينك وبين جاك؟»

«كل حديثه ينحصر في الشحن، انني اعرف اننا بحاجة إلى المال، ولكن جاك يعمل وكان رئيس البلاد قد جعله مسؤولاً عن الوطن.»

في طريقها عائدة إلى بيتها، أخذت تتساءل عما إذا كان عمل جاك هو المسؤول عن مشاكله مع زوجته، وتذكرت

لم ير الخجل من قبل من أي امرأة ممن عرفهن، ونظرت
هي إلى الوردة ثم إليه وقد صبغ الاحمرار وجنتيها
«شكراً، يا ماتيو، هل تتفضل بالجلوس؟»

جلس بجانبها متجاهلاً الكرسيين الخشبيين الأحمرين
سألها بمرح: «ماذا فعلت هذا النهار؟»
«ليس الكثير، أمضيت فترة العصر مع جينا وميكي، هل
لاحظت شيئاً غير عادي بين جينا وجاك؟»
«كلا، لماذا؟»

«أن جينا قلقة من أن يتلاش حب جاك لها.»
فقال: «يا للسخافة، لماذا؟ أنه يجهد نفسه في العمل لكي
يوفر لها وللطفلة كل ما تريده.»

«ولكنه نادراً ما يتحدث معها، يا ماتيو.»
«هذا لأنه دوماً بعيد في عمله، أن جينا لا تشعر بالأمان
لأن كل النساء يكرهن فقدان السيطرة على احد.»

فقالت بحدّة: «إياك أن تحاول مقارنة جينا بالنساء
اللاتي عرفتهن، فهي لا تحاول السيطرة على جاك.»
«ما الذي تحاول أن تفعله إذن؟»

«كل ما تريده هو أن يقلل من عمله، ويمضي معها ومع
طفلتها مزيداً من الوقت.»

أنذره البريق الذي في عينيها بأنه أصبح في ورطة
تحاول أن يقبر الموضوع: «ربما عندما يأتي إلى بيتي
يكون متعباً لا طاقة له على الكلام.»

«كم يأخذ من الطاقة أن يقول: «أحبك.»»
نظر إلى عينيها البراققتين وسألها: «هل قال لك أحد هذه
الكلمة، يا مارغريت؟»

«كلا.»

ونسأل ماتيو عما سيكون عليه الأمر لو أنه قال لها هذه
الكلمة، ولكنه لا يستطيع أن يقولها حتى تدل هذه الكلمة على
حب يبقى معها بقية حياتها.

جاءهما صوت جانيث التي خرجت إلى الحديقة: «ها
انتما ههنا، ما اجمل أن أراك، يا ماتيو، ويسرني أن أراك
تحتاج بعد العمل الشاق الذي تقوم به، أن ماك يقول لي أنك
تحمئك مستأجر غرفة في منزله بصورة دائمة، ألا أنك تعيش
في الواقع في موقف الشاحنات.»

قال وهو ينظر إلى مارغريت: «الراحة غير ممكنة إلا في
البيئة المناسبة ومع الرفقة المناسبة.»

قايست له جانيث: «هذا صحيح، وأظن هذا هو السبب
في إصرار مارغريت علينا بأن نقوم برحلة إلى يوزميت
بارك، أنه المكان الوحيد الذي اجلس فيه دون أن أفعل شيئاً.»

فقال: «من الصعب أن تصورك لا تفعلين شيئاً.»
سألته فجأة: «هل تحب أن تصحبنا إلى يوزميت؟ أن تيمي
سيبقى ههنا، ولكن الكابيين الذي استأجرته مارغريت يتسع
لأربعة أشخاص.»

لم يستمع ماتيو أن يرى ما ارتسم على وجه مارغريت،
من تعبير إذ كانت متحفية على الوردة تشمها، وسأل: «متى
تذهبان؟»

فاجابت العمة: «انتما سترحل يوم الاثنين بعد القادم،
وستقيم هناك مدة أسبوعين.»

«أخشى أن لا اتسكن إذن من الذهاب، إذ علي أن أحضر
مؤتمري في ذلك الحين.»

«لقد أخبرني جو أنك اشتريت قطعة أرض هنا، فهل تنوي توسيع موقف شاحناتك؟»

فأجاب وهو يرى مارغريت تنظر إليه بدهشة: «كلا، بل أريد أن ابني بيتاً».

فقالَت جانيث: «يبدو من كلامك أنك قررت البقاء في إنشواتر، يا ماتييو».

تردد ثم قال: «إن إنشواتر هي شيء ينمو في أعماق الشخص، كل إنسان يخبرني أنه صحيح أن إنشواتر لا تحوي الكثير، ولكن يبدو أن فيها كل ما أريده كل شيء يسير ببساطة وطريقة الحياة فيها تجعل لدى الناس وقتاً لبعضهم البعض» نهضت جانيث وقالت: «إنها الساعة الثامنة وقد حان الوقت للسلسلة التلفزيوني الذي أتابعه، المعذرة».

قبل أن يقول أحدهما شيئاً، كانت قد ذهبت، ابتسم ماتييو لمارغريت، قائلاً: «لم أرها من قبل قط تركض بهذا الشكل» «إنه مسلسلها الذي تحب ولا تريد أن يفوتها شيء» متعجباً وسألها: «هل اتصل بك الدكتور إدواردن؟»

فهرزت رأسها قائلة: «إنه لا يتعجل في قراراته».

«إن معهداً هذا سيغير في إنشواتر أشياء كثيرة فمزيد من الوظائف سيحضر إلى هنا مزيداً من الناس، وقد يجذب من يحدث إنشاءات تتطور معها البلدة، هل تغير إنشواتر يزعجك يا مارغريت؟»

فهرزت مارغريت رأسها: «لا أظن بلدنا هذه ستصبح مدينة كبيرة يوماً ما، ولكن وجود معهد سيمهد الطرق للقودم تسهيلات تعودنا على العمل بدونها كل هذا الوقت، سيكون جميلاً أن يكون لدينا مدرسة ابتدائية ومستوصف».

«إذن فإنت لن تلوميني إذا ما تغيرت إنشواتر؟»

«أعني كما ألوئك لعمل تيممي في موقف الشاحنات؟ لقد أخبرتني عمتي الليلة الماضية عن مقدار قلقها عندما ابتداء تيممي يخرج مع ذلك الفتى في محل دانز دوناتز».

«هل وجدت فرصة لتحديث فيها إلى تيممي وتخبرينه عما كنت أخبرتني به عند الشاطئ؟ وهو أنه بعد أن يحصل على شهادة لن تصانعي في أي عمل يتخذه؟»

فهرزت رأسها قائلة: «لم أخبره بعد، خلت أن أخطيء في قول شيء بطريقة تجعل استياءه مني يزداد».

ازداد ماتييو اقتراباً منها ووضع نراعه على حاجز الأرجوحة خلفها بشكل يدا لها طبيعياً، وأشعرها بالراحة والدفء.

ومن أعلى السلم، اخلت العسة جانيث تسترق النظر وتبتسم، وتساءلت متى يدرك هذان أنهما خلقا لبعضهما البعض.

كانت مارغريت تغسل الخضار في الحوض، وذلك في الحادية عشرة من الصباح التالي، عندما رن جرس الهاتف، فلم ترفع بصرها «مارغريت» جعلها صوت عممتها تستدير إليها بعنف، كانت هذه وافقة بجانب هاتف المطبخ وقد تحب وجهها. فاندفعت مارغريت نحوها.

«ماذا حدث يا عمتي؟ هل يؤلمك شيء؟»

فقالَت العمة بصوت أجوف: «إنه تيممي».

فصرخت مارغريت: «ما الذي حدث لتيممي؟»

«هذا الهاتف من شرطة لاس فيغاس، لقد ادخل تيممي إلى مستشفى لجروح بسيطة، أنه مع أحد سائقي ماتييو» ألفت

العمة بنفسها على كرسي وهي تتأوه قائلة: «لا أستطيع أن أحتمل إذا حدث لتيمي شيء».

كانت مارغريت تعلم أنها تحبها بقدر ما تحب أخاها ولكن تيممي كان طفل جاتيت الممثل.

وضعت مارغريت ذراعها حول كتفي عمته: «لا تقلقي، لو كان الأمر خطيراً لأخبرك رجال الشرطة بذلك، أننا سنرحل إلى لاس فيغاس على الفور».

نظرت إليها عمته وقالت: «لا أستطيع الذهاب معك، لا أستطيع أبداً، سأنتظر هنا بجانب الهاتف».

أدركت مارغريت أن عمته تخاف من أن تجد الأسوأ، فقد سلبت منها الدقائق القليلة الماضية كل حيويتها ما بدت معه عابزة كبيرة السن، نخاعاً كما بدت حين سمعت بموت أخيها وزوجته، «آه، يا تيممي» وغمضت العمة عينيها وكأنها تطرد أفكاراً ساورتها.

اكتسحت مشاعر مارغريت موجة من الحب والرغبة في التخفيف عن عمته فقالت: «سيكون تيممي بخير، سأخبرك هاتفياً حالما أراه».

فاومات هذه برأسها، بينما تناولت مارغريت حقيبة يدها، ثم انحنى لتقبل عمته، قائلة: «سأخبرك حالما أصل إلى هناك، حاولي أن لا تدعي القلق يستبد بك».

ثم هرعَت إلى المطعم حيث أخبرت ستيسي وهي إحدى الموظفات حديثاً، بما حدث، فقالت هذه: «لا تقلقي بالنسبة لعمتك، سأمكنك معها إلى أن نسمع خيراً».

شكرتها مارغريت وهي تتدفع خارجة إلى حيث سيارتها فصعدت إليها.

استندت رأسها إلى عجلة القيادة فترة تحاول أن توقف نفسها عن الإرتجاف. تصورت نفسها واقفة عند قبر والديها مع تيممي وعمته، كان وجه العمة جانيت في ذلك الحين أشبه بما كان عليه منذ دقائق معدودة.

وصلت بعد أربع دقائق بالضبط إلى موقف المشاحنة، وعندما نزلت من السيارة، تقدم ماتييو نحوها من حيث كان يقف على درجات مكتبه.

فسالته: «هل سمعت شيئاً؟»

أجاب: «إن أصابات تيممي غير خطيرة، فقد تحدثت إلى طبيب في مستشفى لاس فيغاس وإلى الشرطة، يبدو أن تيممي فاجأ اللص أثناء محاولة هذا الأخير سرقة صندوق من مقطورة الشاحنة».

سألته بمرارة: «كيف ترسل تيممي في تلك الرحلة بينما تعلم أنها تحتوي على خطورة؟»

وضع ماتييو يديه على كتفيها: «اسمعي يا مارغريت».

فابتعدت عنه قائلة: «بل أنت اسمعي، يا ماتييو، ما كان لك أن ترسل تيممي إلى لاس فيغاس».

«مارغريت، حتى أنني لم أكن أعلم أنه ذهب في تلك الرحلة حتى تلقيت تلك المخابرة من سائق الشاحنة، منذ فترة».

أعمتها الدموع، واستدارت عائدة إلى سيارتها، لا فائدة الآن من تبادل التهم، إن عليها أن تسرع إلى تيممي.

«تعالني معي يا مارغريت، فانا ذاهب على الفور إلى لاس فيغاس».

فهبّت فيه قائلة: «يكفي ما فعلته، ولا تريد منك سوى أن تبعد

عنا في المستقبل، يا ماتيو، ما كان لي أن أستمع إليك، قبل أن
شيء، فقد كنت أعلم أن عمل تيمي في الشحن لن ينتهي بخير»
وضعت المفتاح لتدوير المحرك وقد أعماها الغضب
ولكن السيارة رفضت أن تتحرك، حاولت مرة بعد أخرى
ولكن عبثاً، وأخيراً أزيلت من السيارة وصفقت الباب بعنف
فعاد ماتيو يقول: «تعالى معي، يا مارغريت». وكان هذا
بالنسبة اليها أفضل من اضاءة الوقت في اقناع احد غيره بأن
يأخذها معه إلى لاس فيغاس، وكانت في طريقها إلى هناك
موت بمنزل جو، فرأته مستلقياً تحت سيارته يصلحها.
وانتظارها إلى أن ينتهي ويغيد العجلات إلى مكانها سيأخذ
وقتاً طويلاً، وهكذا لم يعد أمامها خيار سوى الذهاب مع
ماتيو.

الفصل العاشر

أخذت مارغريت تصيح بموعها وهي تتوجه نحو سيارة
ماتيو، يجب أن لا يموت تيمي الآن، لن تدعه يموت.
وسمعه يقول يهدوء: «إن الورم في رأس تيمي بحجم
البطيخة، وقد أظهرت صورة الأشعة أنه لا توجد اصابات
داخلية».

وما الذي يدريه، فهناك حالات كان فيها الشخص
المصاب باصابات في الرأس يستغرق في غيبوبة لمدة
سنوات فيما بعد، ودون سبب ظاهر، هناك حالات...
لكن صوتاً في داخلها نهرها قائلاً، كفى فانت تخصصين
الموضوع، لو كانت حالة تيمي سيئة لقال ماتيو هذا.

تحركت في مقعدها بضيق وهي تختلس نظرة إلى جانب
وجه ماتيو، لماذا أخذت ثوبه لما حدث لتيمي قبل أن
تتحقق الأمور؟

في رأس تيمس ورم بحجم البطيخة، لقد كان تيمي قد
أصيب بأكثر من ذلك، في جذائته، عندما سقط مرة من أعلى
شجرة تفاح خلف البيت وكسر ذراعه، وكذلك سقط مرة أخرى
اتقاء نزحلقه على الثلج ما أدى إلى ورم في جبهته بحجم
بطيخة النعامة، وفي تلك المناسبتين لم توجه اللوم إلى احد،
أغمضت عينيها معترفة بينها وبين نفسها، بأنها فقدت
السيطرة على اعضائها دون موجب، كيف أمكنها أن تجرح
ماتيو بهذا الشكل؟

مدت يدها تلمس ذراعه معتذرة: «ماتيو، أنا آسفة لما قلته لك في موقف الشاحنات.»

«لا بأس يا مارغريت، فقد كنت خائفة جداً.»

وشعرت بغصة: «لقد أراد تيممي أن يذهب في هذه الرحلة ومما حدث له ليس مسؤولية أحد، كانت صدمة هذا الخبر، وما رأيته من حزن على وجه عمتي جعلني أتصرف بذلك الشكل. ولكن هذا لا يشكل عذراً لي لمهاجمتك. فاصفح عني.» قال بلهجة متعبة وكأنه لم يعد يريد الحديث في هذا الموضوع: «لا تقلقي بهذا الشأن.»

نظرت في ساعتها، بقي أمامها ساعة ونصف للوصول إلى لاس فيغاس، وهكذا مالته إلى مستند المقعد وأغمضت عينيها.

لا بد أن ما كانت قائلته قد أقنع ماتيو بأنها لم تفقد أيًا من مخاوفها من الشحن. أن عليها أن تخبره بأنها لا تخاف من الشحن بالذات، وإنما خوفها هو من أن تفقد شقيقها، أن الرعب من أن يكون مصير أخيها هو نفسه مصير والديها، هو الذي أعماها عن كل شيء آخر، لقد حلم الخوف سيطرتها على نفسها ما جعلها تفرغ ماتيو بذلك الشكل. توقفاً عند مطعم في منتصف الطريق إلى لاس فيغاس حيث تناول ماتيو فتجان قهوة بينما أخذت في كوب عصير الليمون حدثت إليه طويلاً... أنها على استعداد لأن تعطي أي شيء في مقابل صحو الساعة الأخيرة من ذاكرة ماتيو.

كان تيممي يحتل وحده غرفة بسريرين، كان جالساً في

سريره يتفرج على الفيديو في التلفزيون عندما انفتح باب غرفته.

«تيممي هل أنت بخير؟»

شعرت مارغريت لمنظر الضماد حول رأسه وكذلك شحوب وجهه، بالقلق، ولكن بصوت الارتياح طفقت من عينيها وهي ترى حالته ليست بالسوء الذي كانت تخافه. «مرحباً أخاه، مرحباً يا سيد ماغنوم، ما كان لكما أن تحضرا، فأنا بخير.»

«إن أختك قلقة لأجلك.» كان في لهجته نوع من اللوم جعل تيممي يقول: «أنني آسف يا أخاه، فكل ما كنت أعنيه هو أن أصابتي غير سيئة.»

سألته مارغريت: «هل انت واثق من ذلك؟»

قاوماً تيممي قائلاً: «متأكد تماماً.»

غالبت دموعها وقالت: «سأخبر عمتي جانبك وأعود حالاً، فهي قلقة للغاية.»

فقال تيممي بسرعة: «لقد سبق وخبرتها أنا، بعد أن تحدث الطبيب إلى السيد ماغنوم، جاء إلي وقال إن السيد ماغنوم يريدني أن أخبركما أنت وعمتي التي أخبرتني بأنك في طريقك إلى هنا.»

غمر الدفء قلب مارغريت، ذلك أن ماتيو يفكر قبيح على الدوام، وجلست على كرسي بجانب السرير وقد ازداد شعورها بالندم.

سألت أخاه: «كيف حدث لك هذا؟»

«لقد توقفتنا، أنا وبيو السائق، عند منطقة الإستراحة على بعد ثلاثين ميلاً من لاس فيغاس فكرت أولاً في أن أشرب

علية عصير. ثم عدت فغيرت رأسي وقررت ان اعود إلى الشاحنة، فسمعت صوت حركة في المؤخرة، فالتجعت نحوها، وما ان لمست الرجل وهو يحاول فتح القفل، حتى دفعتني بيده وهرب، فاصطدم رأسي عندما وقعت على مؤخرة الشاحنة.

شعرت مارغريت بفصّة قبيحها، ماذا لو كان الرجل مسلحاً؟ ماذا لو...؟

أعادها إلى الواقع يد ماتيو على كتفها، فسمعت تيمى يقول: «... ثم حصل رجال الشرطة على تقرير مني بعد ان فحصني الطبيب، ومع ذلك لم يسمح الدكتور باترسون للصحفيين بأن يتحدثوا إلي».

دخلت ممرضة ووضعت ميزان الحرارة في فم تيمى وهي تنظر إليهما وتساله: «هل هذه أسرتك؟»

قاوماً برأسه بينما قالت مارغريت: «انني أخته مارغريت وهذا صديق، ماتيو ماغنون» وكانت ترجو ان تكون الجملة الأخيرة مازالت صحيحة.

قالت الممرضة لهما: «هل لكما ان تمرا على مكتب الممرضات قبل انتهاء الزيارة؟»

فسألها تيمى: «اتعنين انني لن اذهب معهما؟»

فجهزت الممرضة رأسها بحزم: «يريد الطبيب ان تبقى هذه الليلة تحت المراقبة حسب النظام المتبع».

غاص تيمى بين الوسائد وقد بدت عليه الخيبة، فقالت الممرضة: «ان ليلة راحة تجدد نشاطك، والمهدىء الذي اعطيتك سيصيبك بالدوار. فلا تقاومه، وقبل ان تنتبه تجد الصباح قد اقبل فتخرج من هنا».

تاوه تيمى عندما خرجت الممرضة: «أريد ان أعود إلى إنشواتر الليلة، لقد قال جاك انه سيأخذني إلى لوس انجلس صباح الغد».

عضت مارغريت شفتها بشدة لتكبت الاحتجاج الذي أوثقه ان يقفز من بين شفتيها.

وسمعت ماتيو يقول: «لا اريدك ان تقوم بعزيم من الرحلات إلى ان اكلفك أنا بذلك، يا تيمى. عليك ان تواتح عدة أيام لكي تتأكد من انك بخير تماماً، لا أريد ان تقلق عليك مارغريت وجانيت».

كانت السلطة واضحة في صوت ماتيو. خذق تيمى إليه يدهشة، ثم قال يهدوء: «نعم يا سيدي».

بعد نصف ساعة، أغمض تيمى عينيه، قبلته أخته على جبهته قائلة: «إلى اللقاء يا تيمى، سنكون هنا في الصباح الباكر».

رفعت الممرضة بصرها إلى ماتيو عندما وقفا عند مكتبها، «لدي رسالة لك هنا. ها هي ذي».

ثم مدت يدها بمغلف وهي تقول: «انها من مخفر الشرطة جاء بها شرطي ولم أحب ان اتحدث عنها امام تيمى كيلا اشغل افكاره».

فتح ماتيو المغلف فسألت مارغريت للممرضة: «أهو حقاً بخير؟»

«نعم، والنظام ان يبيت المصاب برأسه ليلة كاملة هنا وذلك للتأكد من عدم وجود ارتجاج في المخ أو أي آثار أخرى، تعالي غداً بعد انتهاء مرور الأطباء على المرضى وذلك في الساعة الحادية عشرة بعد أن يكون الدكتور

باترسون قد وقع أوراق الخروج، وقد ترك الدكتور رقم هاتفه فيما لو أردت التحدث إليه شخصياً، لقد كان السيد ماغنوم قد اتصل به يخبره بأنه سيحضرك إلى هنا، طالياً معه أن يسمح لك بالاتصال به متى شئت، أنك محظوظة إذ يكون لك رجل مثله.»

نظرت مارغريت إلى ماتيو، نعم أنها محظوظة، فقد قام بكل ما يستطيعه ليساعدها، وتساعلت عما إذا كان سيصفح عنها قط، نظر هو إليها، فقالت بسرعة: «أفطنني ساجد...» وماتت الكلمات على شفيتها حين رأت ما بدا على وجهه، فقالت: «ماذا هناك؟»

«أنهم يريدون مني الذهاب إلى المحضر عند الصباح، فقد عثوا على رجل بالأوصاف التي ذكرها تيمى وقد اعترف بالمزقات التي اقترعها.»

نظرت إليه بدهشة: «هذا عمل سريع.»
«نعم، أنه كذلك.»

عندما خرجا من المستشفى إلى حيث تقف السيارة، سألتها: «إلى أين نذهب الآن؟»

فأجابته وهي تحول نظراتها عنه: «يمكنك أن تنزلني عند أول فندق نمر به، وفي الصباح أحضر أنا لأخذ تيمى إلى البيت في سيارة استأجرها.»

«انتني لن أتركك هنا وحده، هذا إلى أن علي أن أذهب إلى المحضر صباح الغد، سنحجز نحن الاثنين، في الفندق ثم أريك مدينة فيفاس، فهي مدينة لا ينام فيها أحد في الليل.» جذبت مارغريت نفسها عميقاً: «ألم تعد غاضباً مني؟»
«لو أن خطراً أحاط بسوزان أو باتريشيا، وظننتك

مسؤولة عن ذلك، لتصرفت معك كما تصرفات أنت سعى بالضبط.»

ابتلعت غصة في حلقها، أنه إذن يفهم «سبب تصرفها ذلك، وهذا هو المهم.»

سألتها: «هل استدعيتني إذن أريك المدينة؟»

فجالت: «ليس لدي ما أرتديه للسهرة.»

«سنذهب لشراء ثوب لك وكذلك بعض أدوات الزينة وذلك قبل أن نجد مكاناً نبيت فيه، ما رأيك في المبيت في فندق في وسط المدينة؟»
فأرسلت موافقة.

أوقف ماتيو سيارته أمام متجر حيث اختارت مارغريت ثوباً قطنياً عطرزاً وقميصاً للثوم وبعض الأشياء الأخرى دفعت ثمنها من بطاقة حسابها في المصرف.

واختار لمبيتها غرفتين في فندق، حيث أخذت مارغريت تنظر حولها بافتتان، ملايين الأضواء، والفنل في ملابسهم المزركشة، والناس في كل مكان، شعرت بنفسها وكأنها تتحرك في فيلم سينمائي.

قال لها: «هيا، لقد أخذنا غرفتين في الخلف حيث الهدوء.»

كانت غرفتهما في الطابق الأرضي من مبنى ملحق بمعلم، تفصل بينهما بحيرة، فتح ماتيو باب غرفتها ثم وقف جانباً لتدخل وهو يقاولها مفتاحها قائلاً: «خذني غفوة، إذا شئت، وسأكون عند بابك الساعة الثامنة.»

استلقت هي على السرير المزدوج بعد أن طلبت من مركز الخدمة إيقافها بعد ساعة.

أخذت تفكر في أحداث هذا النهار، أول ما فكرت فيه حين علمت بإصابة تيمي هو أنها تريد أن يكون بخير، فقد كان هذا أهم شيء في العالم بالنسبة إليها، شعرت بأنها لم يعد يهمها حتى ولو فتح سحل يقالة في القمر، عازم سيكون سعيداً بذلك.

أيقظها رنين الهاتف في الساعة والنصف. وبعد دوش بارد ارتدت ثوبها الجديد الذي جعلته الأزهار البراقة المنقوشة على قماسه الأبيض من الجمال، بحيث يصلح للخروج به، وكذلك كان القوطان اللذان اشتريتهما معه مناسبين جداً.

لقد شعرت هذه الليلة بأنها تريد أن تبدو بصورة أكثر جمالاً وثقة بالنفس من المعتاد.

رفعت شعرها تعقصه فوق رأسها وزينت وجهها ثم وقفت أمام المراة، وإذا بالباب يقرع بعد ثانية واحدة. خفق قلبها وهي تسرع إلى الباب تفتحه ونظر هو إليها، «لشد ما تبدين جميلة».

كانت لاس فيغاس تبدو في الفصل حالاتها اثناء الليل وعلايين الأضواء تنير طرقاتها وواجهاتها.

سألها ماتيو: «هل لديك مانع في أن نسير على الأقدام؟ وبهذا لن نتعب في البحث عن مكان نوقف فيه السيارة في كل مرة نريد فيها أن ندخل إلى مكان».

«كلا، أبدأ».

تناولا الطعام أولاً في مطعم يقدم مقصفاً يحتوي على مائة وخمسين نوعاً من الطعام، ثم أخذوا بجولان بين الأسكن المختلفة، في أحدها أخذوا يتفرجان على ألعاب

سيرك وفي آخر تفرجوا على نمر أبيض، وقبل سنتصف الليل ينصف ساعة ادعشها ماتيو بشراء تذاكر لحضور حفلة، وعندما خرجا عنها كانت الساعة الثالثة صباحاً.

فسألها: «هل تشعرين بالنعاس؟»
أوضأت برأسها نفياً، وفي تنظر إلى الصورة التي كان الحضور التقطها لهما قبل العرض.

سألها: «ماذا تريدان أن تفعلين الآن؟»

كانت مارغريت كصبي صغير يتفرج على السيرك، وكان سرورها يدخل المرح إلى نفس ماتيو. وبالرغم مما تشعر به من بهجة وسعادة، فقد كانت تسأله دوماً عما يريد هو، وقد ادفاً اهتمامها به قواده أكثر من أي شيء آخر، وعند الساعة الرابعة قال ماتيو: «يجب أن نخرج الآن، هيا بنا».

أوقفوا سيارة أجرة، وكانت مارغريت قد ابتدأت تشعر بالك في قدميها وظهرها.

ذهبت عندما وقفت بهما السيارة عند موقف السيارة بدلاً من باب الفندق، قال لها ماتيو وهو يساعدها على الصعود إلى سيارته: «هناك شيء آخر أريدك أن تريه».

أخذت تنتظر يصمت والسيارة تسج بهما شمالاً. «ها قد وصلتا».

نظرت مارغريت من السيارة تلقى نظرة على العباة والسد الضخم.

قال لها: «أناها بحيرة ميد» تناول من المقعد الخلفي سطلين خفيفاً، وفي ضوء الحجر الغضبي، كانا وحيدتين على الشاطئ، وتقدم نحوهما زورق فيه رجل سال ماتيو مستمراً: «هل أنت من اتصل الليلة الماضية طالباً زورقاً؟»

أجاب ماتييو وهو يتناول الرجل ورقة مالية: «نعم، وآسف إن جعلتك تستيقظ مبكراً، سنعود بعد ساعتين».

نظر الرجل إلى الورقة المالية وقال بسرور وهو يلفز من الزورق: «إبقى قدر ما تريد يا سيدي».

ابتسعت مارغريت، كان ماتييو يعرف كيف يجعل كل شخص سعيداً.

وقفت بجانبه وهو يقود الزورق إلى منتصف البحيرة: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

فأجاب: «سترين».

عالت الشمس أن ارتفعت في قبة السماء، وأدارت مارغريت نظرتها في ما حولها من جمال الطبيعة الساحرة تفهنت بسعادة، كانت تقف بجانب ماتييو يملعان النظر في روعة ما يحيط بهما، لم تر الحياة قط من قبل بمثل جمالها الآن.

أدركت أن شعورها هذا ناتج عن أنها أدركت أخيراً حقيقة هامة. وهي أن من الأفضل أن تقع في الحب، من أن تسمح للمخاوف من فقدان من تحب بأن تسيطر على حياتها، لم يعد مهماً في نظرها أن يكون الشجن متعباً لشخصية ماتييو، لم يعد مهماً أن يكون الحب يعني الضعف أمام المحبوب، أنها تفضل الآن أن يكون لديها هذا الحب الذي تشعر به الآن، مهما كانت نتيجته، تفضله على ذلك الفراغ الذي عاشت به طوال هذه السنوات، رفعت وجهها إلى ماتييو، وهمست برقة فائقة: «انني احبك، يا ماتييو».

ساد الصمت، لم يتفوه بحرف، وتبدد بعض البهجة في نفسها، فنظرت إلى وجهه متفحصة فقال لها وهو ينظر في

عينيهما: «ستحدث في هذا الأمر عندما لا نكون متعبين كما نحن الآن، إتفقنا؟»

كان هذا يبدو منطقياً، ولكنها هذه المرة لم تكن تريد المنطق، فأومات برأسها وقد شعرت فجأة بأنها على وشك البكاء، شعرت بأن ماتييو لا يحبها كما تحبه.

بهت جمال الطبيعة وإشراقه الشمس في نظرها، وأخذت تنظر إلى ماتييو وهو يستدير بالقارب عائداً به إلى الشاطئ، عادا في السيارة إلى لاس فيغاس وقد ران عليهما الصمت، وعند باب غرفتها قال لها: «أحلاماً سعيدة، يا مارغريت، سأتي اليك في الساعة التاسعة والنصف».

استيقظت مارغريت بعد ذلك بساعتين شاعرة بنشاط تام، فكرت في ما حدث محاولة أن تعرف سبب هذا الضيق الذي تشعر به، وتدفقت الذكريات إلى ذهنها، أنها بسبب ماتييو، فقد أخبرته بأنها تحبه، ولكنه لم يقل أنه يحبها، ما كان أجمل هذا لو كان حدث. ولكن اعترافها له بالحب لم يحقق أي تقدم في علاقتهما.

انزل ماتييو مارغريت عند باب المستشفى وهو في طريقه إلى الحفلة، وقالت الممرضة لها بأن الطبيب عاين أخاها وقال أنه في أحسن حال، وأن بإمكانه الخروج على أن يرتاح في البيت، وقالت لمارغريت: «هل لك أن تجلسي مع شقيقك إلى أن أجهز أوراق الخروج؟»

وجدت مارغريت شقيقها يشاهد التلفزيون. «مرحباً، يا مارغريت».

«مرحباً تيمي، كيف حالك اليوم؟»

«بخير، قال لي الطبيب ان بإمكانني اخذ الأسبرين فقط إذا شعرت بصداغ.»

«هذا عظيم.»

جلست على كرسي بجانبه وهي تبحث في ذهنها عن موضوع لا يشير استياءه.

قالت: «لقد أوشك الصيف على الانتهاء، وسأعود إلى واشنطن قريباً.»

فقال: «انني احب ان اراجع معك مواد الامتحان التمهيدي قبل ان تعودى إلى واشنطن.»

نظرت إليه مجفلة، أترأها سمعت جيداً؟

أجابت: «طبعاً.»

فتابع يقول: «انني أسف لما سببته من قلق لك ولعمتي أمس، ولكن الأمور كان خارج يدي، إذ لم اعرف ما جرى إلا بعد ان وجدت نفسي مستلقياً على ظهري انظر إلى السماء.»

«اعرف هذا.»

«عندما تحدثت إلى عمتي جانبتي في الهاتف أمس، اخذت تنبكي، وهذا ما ألمني جداً، ثم رأيت وجهك عندما جيئت فأدركت مبلغ قلقك، انا أسف، لم اقصد ان اقوم بذلك.»

فقالت بسرعة: «كان يمكن ان يحدث هذا لأي انسان.»

نظر اليها بحيرة: «اصحیح هذا؟»

«طبعاً، أي شخص كان ممكناً ان يقترب من الشاحنة ويقبض على الرجل، وكان من حظك ان كنت انت ذلك الشخص.»

«اتعنين أنك لن تقولي بأن هذا ما كان ليحدث لو انني لم اقم بتلك الرحلة؟»

«كلا.»

كانت مارغريت واثقة من ان قلقها مما قد يحدث لتيمي لن يتوقف قط، ولكن الابتسامة التي رأتها على وجهه أثبتت لها ان أول محاولة لها لتحريره من سلطتها قد نجحت.

دخلت الممرضة تدفع اصامها كرسيّاً بعجلات وهي تقول: «السيد ماغنوم في انتظاركما وما هي ذي أوراق الخروج،»

انني سأخذك إلى أسفل على هذا الكرسي، انه النظام.»

فتح تيمي قمه ليحتج ولكنه عاد فأقفله وهو يغمز لأخته فبابلته ذلك بابتسامة وهي تدرك ان التقارب قد عاد بينها وبين شقيقها.

قالت مارغريت: «هذا سخاء بالغ عنك، ولكن هل تقبل الشرطة بإطلاق سراحه؟»

أوما ماتيو بالإيجاب: «لقد أقنعتهم بأن حظ فرينتون في العالم هو أفضل على أن يكون شخصاً ذا سجل إجرامي، إن القانون يطلب منه رد المسروقات، ولكن بما أن شركتي فقط هي التي كان يسرق منها، وأنا رفضت رفع دعوى عليه، فقد أطلقوا سراحه.»

ساد صمت قصير سأل ماتيو بعده: «هل تملككما الاستياء لأنني لم أرفع دعوى؟»

فقالت مارغريت: «كلا، أظن فعلك هو الصواب.» وأضاف تيمي: «لقد بدا فرينتون عجوزاً وخائفاً جداً، كما أن شركته عاملته بشكل سيء، أليس كذلك؟»

«نعم، يا تيمي.»

التفت ماتيو إلى مارغريت، فقالت: «أنتظن أن فرينتون سيذهب حقاً إلى مركز المعالجة؟»

فقال: «لقد أنزلته لتؤي عند أحد تلك المراكز، قبل أن أتوجه إلى المستشفى، والباقي يعود إليه.»

كان ماتيو يعرف جيداً كيف يجعل الآخرين يرون الأمور بوضوح وكيف يضع لهم الحلول، كما أخذت مارغريت تفكر. ومن المؤكد أن بإمكانه أن يجد حلاً لمشكلاته الخاصة.

بعد برهة، نظرت مارغريت إلى تيمي وقد استغرق في النوم في مقعده، وكانت الممرضة قد نبهتها إلى أنه قد يكون ما يزال تحت تأثير المهدئات التي أعطيت له الليلة الماضية. قال ماتيو: «لقد أخبرت تيمي بأن يأخذ بقية الأسبوع عطلة للراحة.»

الفصل الحادي عشر

«ماذا حدث في المخفر؟» ألقى تيمي بهذا السؤال حالما خرج ماتيو بالسيارة من موقف سيارات المستشفى.

تمهل ماتيو بالجواب قبل أن يتنحى ويقول: «لقد قررت أن لا أرفع دعوى ضد السيد فرينتون.»

سأله تيمي: «لماذا؟»

«عندما تحدثت إليه أخبرني بأنه سائق شاحنة سابق، وبعد أن فقد زوجته وطفله في حادث، وذلك في السنة الماضية، أخذ يهمل نظام الوظيفة فطرد من عمله، لقد رفض مؤوسوه الاستماع إليه أو إعادته إلى عمله، وهكذا رأي أن السرقة هي الطريقة الوحيدة للعيش.»

فسأله مارغريت: «ولماذا اختار شاحنتك أنت بالذات؟»

«ليس لسبب خاص وإنما لأن كثيراً من سائقي شاحناتي اعتادوا الوقوف في مركز الاستراحة تلك، وبشكل عام لم تكن المنطقة آمنة، لقد قال فرينتون أنه لم يكن يسرق إلا ما يحتاجه... قال إنه لم يقصد أن يؤذي أحداً على الإطلاق، ولكنه فقط أصيب بالذعر عندما رأي تيمي.»

فسأله تيمي: «ولماذا لا تريد أن ترفع دعوى؟»

«إن كل شخص بحاجة إلى أن يُمنح فرصة يتوب فيها، وهكذا قررت أن أمنحه ذلك، قلت له أنه إذا ذهب إلى مركز المعالجة وبقي هناك إلى أن يشفى، فسيحصل على عمل عندي في الشركة.»

«شكراً يا ماتييو.» كان من الأسهل أن يأتي هذا من ماتييو على أن يأتي منها أو من عمتها.

عاد ذهنتها إلى ذلك المشهد في الزورقي، وغصت بريقها. شعرت بأن الحديث قد محا ذلك الصمت المربك الذي ساد بينهما، فقالت: «إن مدينة فيغاس شيء لن أنساه سأحدث أصدقائي عنه في معهد ادواردز.»

«هل أنت مشتاقة للعودة إليهم يا مارغريت.»

لم تكن مارغريت مشتاقة لترك انشواتر. وذلك لأجل ماتييو. ولكن مارغريت قد حفظت الدرس. فكرامتها أبت عليها أن تقول أي شيء عدا كلمة نعم.

لم يقل شيئاً. وبعد فترة استغرقت مارغريت في النوم.

عندما زارت مارغريت جينا، عصر اليوم التالي، اكتشفت أن أحوال جينا وزوجها لم تتحسن، بل هي في طريق الأسوأ. فقد بدا وكأن الاتصال بينهما قد انقطع بشكل تام، وإذا لم تجد مارغريت فائدة من الكلام، فقد أخذت تستمع بهدوء إلى حكاية جينا التعسة.

ذهب بها الفكر إلى أول مرة رأت فيها جاك في المستشفى الذي ولدت فيه زوجته، لقد كان حبه لها يادياً فما الذي حدث لكي تتغير الأمور بينهما بهذا الشكل؟

أترى ضغط العمل قد أخذ ينال منه؟ لم تلق مارغريت باللوم لذلك على عمله بالشحن كما كانت ستفعل فيما مضى، ذلك أن كل عمل يحتوي نوعاً من المشكلات، وما يسبب الضغط على أعصاب الشخص هو نوع تعامله مع هذه المشكلات.

كانت في غرفتها تخطط ثوبها الجديد عندما رن جرس

أنهاتف، فرفعت السماعة لتسمع عمتها تقول: «مارغريت، إن ماتييو على الخط.»

جاء صوت ماتييو: «مرحباً يا مارغريت.» تضرع وجهها وهي تسمع صوته، لقد كانت الأربع والعشرين ساعة التي مضت بعد رجوعهما من لاس فيغاس، كانت فارغة موحشة بذوقه.

«لقد اتصلت بي شقيقتي باتريشيا منذ فترة، إنها ستقيم حفلتها المعتادة كل صيف لجمع أموال لمستشفى مرضى السكري في لوس انجلس، ولا أدري إذا كنت تحبين المجيء معي. فقد يعطيك هذا فكرة عن عملها فتخبرين به الدكتور ادواردز.»

كانت لهجة ماتييو تنبئ بالعودة لا أكثر ولا أقل.

وعاد يقول: «مارغريت؟»

فقالت بسرعة: «علي أن أفكر في الأمر.»

إنها بحاجة إلى وقت تجد فيه عذراً منطقياً لعدم الذهاب. فهي لم تذهب قط من قبل إلى حفلة كهذه، كما أن ليس لديها ثوب لائق لهذه المناسبة. ثم أي نوع من الحديث عليها أن تقوم به مع أناس يدفع الواحد منهم خمسة آلاف دولار ثمن طبق عشائه؟ هذا إلى أنها أين ستقيم في لوس انجلس؟

وتابع ماتييو يقول: «عندما ذكرت لباتريشيا أنني سأحضر صديقة معي قالت إنها ترحب بك ضيفة عليها. إن منزلها فسيح وليس في الأمر أية مشكلة.»

«سأفكر في الأمر ثم أتصل بك.»

أخذت تتساءل فيما بعد، عما إذا كانت دعوة ماتييو لها هي نوع من الاختيار، هل يريد أن يرى إن كانت تصلح للمجتمع الذي نشأ فيه؟

كانت كبرياؤها تصر على أن ليس لديها ما تثبته به، بينما حبها له يقول نعم، لقد كانت عمتها أخبرتها أن ماتيو حدثها مرة بأن النساء ما أن يكتشفن مبلغ ثراء أبيه، والقصر الذي يعيش فيه في ماليبو، حتى يقمن بكل ما يمكنهن من جهد لكي يلفتن انتباهه، ومن الواضح أن ماتيو أخذ يظن أن كل ما يهم النساء في الرجال هو المال. ولكي تثبت له خطأه، فستقبل الدعوة، وعندما تصل إلى ماليبو، فستجد طريقة تثبت فيها له أن ليس كل النساء مثالبها.

وهكذا سارعت إلى الاتصال به في مكتبه، قبل أن تغير رأيها، حيث أخبرته بأنها ستكون مسرورة إذ تقبل دعوته للذهاب معه.

فقال: «لا أدري إن كان لديك مانع من أن تذهب صباح الجمعة، إذ يمكنني بذلك، حضور اجتماع عمل يوم الجمعة، ثم نعود إلى هنا صباح الأحد.»

فقالت: «لا أريد أن أكون عبئاً على أختك. ربما يمكنني أن أحجز غرفة في نزل.»

«لن يكون هناك أي عيب، فمَنْزل باتريشيا فسيح جداً كما سبق وأخبرتك، كما أن هناك جيشاً من الخدم.»

تساءلت مارغريت عما إذا كان ماتيو يتحدث عن المنزل الذي كان نشأ فيه، ألا تشكل العودة إليه ذكريات مؤلمة له؟ وكأنما عرف ما يجول في خاطرها، قال: «عندما مات والدي، أرادت باتريشيا وسوزان أن تحتفظا ببيت الأسرة الكبير، فجعلتا من الطابق الأسفل مكاتب إدارية لمؤسسة (الشعب يساعد الشعب) التي يديرها دون أي ربح، والطابق العلوي أصبح كافيتيريا، ومسكنين لموظفين اثنين وقاعة

مسابقات، وقد انفتحت شقيقتاي بسخاء على تجديد بيوت استخدامين. وقد أصرتا على أن يكون لي بيت الضيوف سليم، وهكذا ترين أن بيتنا كبير للغاية.»

يقيت هي صامئة بعد أن لم تجد عذراً لرفض ضيافته الحقيقية.

عاد فسألها: «هل اتفقنا إذن؟»

فقالت: «نعم.»

ثم نزلت لتخبر عمتها عن الدعوة.

بدت الدهشة على العمة، ثم السرور: «ما أحسن هذا، إنك متضمن وقتاً ممتعاً. فقد فهمت مما قاله ماتيو أن حقيقته في غاية الكياسة.»

«وماذا سأل بس للحفلة؟ ليس لدي وقت من الآن إلى الخميس لكي أخطط لنفسي ثوباً مناسباً.»

«يمكنك أن تشتري من هناك حين وصولك.»

لم تكن ميزانية مارغريت تحتل التنبير في الواقع، ولكنها حاولت أن تقنع نفسها بأن لا بأس في ذلك. لكن الحقيقة أنها لم تكن تريد أن يشعر ماتيو بالخجل بها بين وجوه القوم المتألقين في تلك الحفلة.

كان القصر في ماليبو أكثر مهابة مما تصورته مارغريت. وكانت تحيط به مروج خضراء بالغة الاتساع.

أوقف ماتيو سيارته أمام المنزل الرئيسي ثم دخل إليه وهو يقول لمارغريت: «سأري إن كانت باتريشيا في الداخل.»

كان قد لاذ بالصمت في نصف الساعة الأخيرة. وإن لم

يكن الصمت من عاداته، فقد أخذت تتساءل إن كانت الذكريات قد عادت تستحوذ على مشاعره،

عاد يصعد إلى السيارة قائلاً: «إن لديها اجتماعاً، لذا سأنذهب إلى بيتها وستلحق بنا قريباً..»

عاد يقف أمام فيلا ذات سطح أحمر اللون وقد غطت جدرانه النباتات المتسلقة، وفتح لهما الباب رجل أشرق وجهه لدى رؤيته لمارتيو، وصافحه هذا ووضع يده على كتفه قائلاً: «كيف حالك يا هوك؟»

التفت إلى مارغريت قائلاً: «هذا هوك، إنه من اصدقائنا. أقدم إليك مارغريت براوننغ يا هوك..»

«تفضل بالدخول، سأدخل الأمتعة فيما بعد. لقد كنت رئيس خدم السيد ماغنوم الكبير في السابق، أما الآن فأنا في خدمة باتريشيا. لقد كان مارتيو أخبرني عن مبلغ عناية عمك به في انشواتر، ويشرفني أن أتعرف إليك..»

أدخلت إلى غرفة جلوس يبلغ ارتفاع سقفها خمسة وعشرين قدماً، نظرت حولها بصمت، ما الذي كانت جينا قالته مرة؟ لا أحد يستطيع أن يدرك عند النظر إلى مارتيو، مبلغ أهميته. كان كلام جينا صحيحاً من هذه الناحية، ثم إن مارغريت لم تدرك حتى هذا النهار مبلغ الهوة العميقة التي تفصل بين عالمها وعالم مارتيو، كل ما حدثها عنه، كل ما كانت تخيلته، لا شيء أعطاهها صورة حقيقية عن هذه الالهة من الثراء والروعة التي تحيط به.

لا عجب أن لم يقدّمها بأي القزام. إنها في هذا المكان أشبه بنبته هندية برية في هذه المروج المجزورة العشب بكل عناية، فكيف تصورت قط أنهما سيكونان سعيدين معاً؟

كان مارتيو بجانبها يقول: «مارغريت، هل يضايقك لو تركت بضع دقائق؟»

فقالت باسمه: «كلا، طبعاً..»

«إن هوك سيهتم بك..»

نظرت مارغريت بجمود إلى كوب العصير الذي أحضره هوك إليها، وتمنت لو أنها كانت نزلت في فندق.

سألها الرجل: «هل كانت رحلتك من انشواتر مريحة، يا آنسة؟»

«نعم، شكراً لك..»

«ألا تجلسين؟»

«بل أفضل الوقوف. شكراً..»

«مرحباً..»

استدارت مارغريت عندما دخلت امرأتان إلى الغرفة. قالت ذات القوام الطويل الأهيف والتي بدت وكأنها عارضة أزياء: «إنني باتريشيا، وهذه سوزان..»

قالت سوزان: «أسف لعدم وجودنا أثناء قدومك لثرحب بك. فقد طال الاجتماع أكثر مما كنا نتوقع..»

ابتسمت باتريشيا بحرارة: «سيكون الغداء جاهزاً حالاً، دعيتي آخذك إلى غرفتك، لشدّ ما أنا مسرورة بحضورك إلى الحفلة..»

صافحت مارغريت المرأتين، وبعد التحية الرسمية المعتادة: «كيف الحال..» لم تستطع أن تجد شيئاً تقول سوى: «إن بيتك جميل جداً..»

فقالت باتريشيا: «شكراً لك، إنه كبير بالنسبة لفرد واحد، ولكنني أحب العيش في الضواحي..»

قالت سوزان: «إنك ستتناولين العشاء عندي هذه الليلة ولكن يجب أن أتبعك إلى أن بيتي يبدو وكأن زلزالاً مزيجاً والفضل في ذلك يعود إلى ابنتي ذات الثلاث سنوات.»
خلف مظهر الشقيقتين البراق وأناقتهما البالغة، هذا كانتا ودويتين دافنتين. مثل ماتيو تماماً، ولكن هذا لم يخفف كثيراً من التوتر مارغريت.

وفي الغرفة البالغة الاتساع التي أخذت إليها، أخذت مارغريت تنظر إلى صورتها في المرأة، وتنهت. بدت لها الليالي الثلاثة التي ستعيشها هنا وكأنها دون نهاية. ومهما فعلت فمظهرها لن يتلاءم مع مكان كهذا، هذا عدا عن أنها لن تستطيع أن تثبت لماتيو شيئاً عن شخصيتها.
عندما عادت مارغريت إلى شقيقتي ماتيو في غرفة الجلوس، دخل هوك ليعلم أن الغداء سيكون جاهزاً في خلال دقائق.

سالت سوزان: «أين ماتيو؟»

فقالت باتريشيا: «إن سيارته ليست أمام البيت، لا بد لديه عمل يهتم به.»

فقالت سوزان متذمرة: «دوماً لديه عمل، أرجو أن نراه هذه المرة أكثر قليلاً من المعتاد.»

إذا بوجهها يشرق لدى تصاعد رنين جرس الباب، والتفتت ناحية الباب في اللحظة التي دخل فيها ماتيو يمسك بيده فتاة صغيرة باسمه.

فكرت مارغريت بأن هذه لا بد أنها ابنة شقيقته، بينما ألقت سوزان بنفسها بين ذراعي شقيقها تحتضنه، وتبعثها في ذلك باتريشيا، لم يكن ثمة شك في الحنان الذي يشد الثلاثة بعضهم

في بعض. ابتسم ماتيو لشقيقته وهو يحتضن كل واحدة منهما بذراع، بينما شعرت مارغريت بغصة في حلقها.

قالت الصغيرة ميليسيا آن: «أنا أيضاً هنا، يا ماما.»

فقالت سوزان وهي تحل صغيرتها وتقبلها: «إنني أراك. من دعاك إلى هنا؟»

«قال خالي للسيدة دولبي أن بإمكانني أن آتي لأتحدى سركم.» أضافت بلهجة خطيرة: «قال إن السرور سيكون أكثر بوجودي هنا.»

وإذ تلاقت نظرات مارغريت بنظرات ماتيو، تساءلت عما إذا كان قد تكهن بالتوتر الذي تشعر به، لأن وجود الطفلة معهم سيخفف من ذلك وهكذا جعلت ميليسيا آن الحديث مستمراً بأسئلتها الدائمة.

قالت باتريشيا أثناء الغداء: «إنني مشتركة في إجراء ترتيبات تتعلق باحتفال عام وذلك بقية هذا النهار، ولكنني أرجوكم أن تعتبروا أنفسكم في بيتكم واطلبوا من هوك كل ما تحتاجونه. إنه سيأخذك يا مارغريت إلى حيث تشائين. فهو يعرف أفضل أماكن التسوق والأكل والتفرج على معالم المدينة.»

فقالت مارغريت: «إنني لا أريد سوى شراء ثوب للحفلة.»
تبادلت الأختان النظرات، ثم قالت باتريشيا بسرعة: «إنها ستكون حفلة تذكارية ونحن جميعاً سترتدي أزياء من عهد شكسبير.»
سادت فترة صمت قال ماتيو بعدها عابساً: «لماذا لم تقول لي ذلك قبل الآن؟»

بدا الندم على وجه سوزان: «لقد خفنا، أنا وباتريشيا، أن ترفض الحضور إذا قلنا لك ذلك يا ماتيو إننا نعرف كرهك للملابس التذكارية.»

«وهل ستحملني على كتفك ونحن ذاهبان إلى البيت؟»
 «نعم، هيا بنا الآن..» ووقف يمد يده إلى الطفلة قائلاً وهو ينظر
 إلى مارغريت: «اسمحي لي.. سأراك الليلة في منزل سوزان..»
 قالت سوزان وهي تهيم بالحاق بأخيها وابنتها: «أنا
 آسفة، فانا لا أعرف أبداً ما يمكن أن تقوله في أي لحظة..»
 فقالت مارغريت: «لا تهتمي، فانا معتادة على الأطفال..»
 بعد الغداء، أخذها هوك إلى متجر هاغرتي، ونظرت
 مارغريت حولها برهبة. رأت مئات من الأزياء المختلفة
 تغطي جدران قاعة العرض. ودخل هوك معها ثم ناول فتاة
 تجلس إلى مكتب، بطاقة باتريشيا.
 قالت لهما موظفة الاستقبال: «تفضلني بالجلوس إن
 السيد هاغرتي كان ينتظرك..»
 بعد دقائق قليلة جاء السيد هاغرتي. وأرغمت مارغريت
 نفسها على عدم إظهار ذهولها وهي ترى ذيل الحصان
 والأهداب المستعارة والبودرة على وجه الرجل.
 قال وهو يمد يده يصافحها: «مرحباً بالآنسة براوتيتش،
 تفضلني معي إلى صالوني الخاص. إن أي صديق لباتريشيا
 وسوزان هو صديق لي..»
 فتبعته مارغريت شاعرة وكأنها في بلاد العجائب.
 قال لها عندما أحضر مساعدته عدة أزياء: «هذه هي
 الأزياء الأربعة التي طلبت مني باتريشيا أن أحتفظ بها لك،
 وبعد أن تختاري منها ما يعجبك، ستختار اللحقات..»
 نظرت مارغريت إلى الأثواب السمكية الثقيلة يتناویرها
 البالغة الاتساع والشعر المستعار الملائم لها، ثم لم تمتد يداً
 للمسهة. لم تستطع أن تتصور نفسها مرتدية أيها منها. لم

تباينت الأختان نظرة سريعة أخرى، ثم التفتت سوزان إلى
 مارغريت: «متجر هاغرتي في المدينة يؤجر أفضل الأزياء
 التنكرية، وقد اخترنا عدة أزياء أخرى عندما أحضرت
 أزياءنا، ثم طلبنا من السيد هاغرتي صاحب المتجر أن
 يحفظها لنا، وسيأخذك هوك إلى هناك بعد الغداء..»
 قالت ميليسيا آن بلهفة: «هل يمكنني أنا أيضاً أن أرتدي
 زياً تنكرياً؟»
 فقالت سوزان: «نعم، بعد قليل ولك يمكنك أن ترتدي الزي
 الذي لديك..»
 فقالت لهم الطفلة: «عندما يأتي والذي إلى البيت،
 سأجعله ضفدعة. ثم عندما تقبله والدي، سيعود فيصبح
 أميراً. إن والدي تحب أن تقبل والدي..»
 ضحك الجميع بينما احمر وجه سوزان.
 سألت ميليسيا آن مارغريت: «مارغريت، هل تحبين
 تقبيل خالي ماتيو؟»
 توهج وجه مارغريت احمراراً، بينما هب الثلاثة حول
 المائدة للعمل. فقال هوك الذي كان يرفع الأطباق: «تعالى
 للتفرج على السمكة الجديدة في الحوض، يا ميليسيا آن..»
 قالت باتريشيا وهي تنهض تخرج من الغرفة: «ساحضر
 الحلوى..»
 بينما قالت سوزان لايفتها بصوت حازم: «حان وقت
 قليلولتك الآن..»
 ترددت ميليسيا لحظة قبل أن تلتفت إلى خالها ماتيو قائلة
 بسرعة: «هل ستقرأ لي حكاية يا خالي قبل أن أنام؟»
 فأجاب ماتيو: «طبعاً..»

تكن تريد أن تلبس زياً لمجرد أنه يتلاءم مع أزياء المدعوين، وخطرت لها فكرة.

استدار هاغرتي إلى مارغريت وقد رفع حاجبه المخطط بالقلم: «أي واحد منها تحبين تجربته أولاً، يا سيدتي.»

فقلت بسرعة: «لقد قررت أن أصنع الزي الذي أريده بنفسي، فهذه واسعة جداً وبألغة الزخرفة بالنسبة إلي.»

بدا على هاغرتي وكأنه تلقى إهانة، فقال وهو يشفق: «هكذا إذن، اسمحي لي...»

ثم اندفع مبتعداً عنها، بينما اتجهت مارغريت إلى الباب. عندما خرجت من العتجر، سارع هوك يفتح لها باب السيارة وهو يسألها: «ألم تجدي شيئاً يعجبك، يا آنسة؟»

«لقد قررت أن أصنع الزي بنفسي. أتعرف متجر أقمشة قريباً من هنا؟»

«ثمة واحد قريب. وأظن لدينا آلة خياطة في المخزن قد تتفعل.»

فقلت: «أحقاً؟» ورغم أن الزي الذي في رأسها كان بسيطاً جداً، وأمامها يوم ونصف لإنجازه، إلا أن وجود آلة الخياطة تيسر الأمور.

«نعم إذا لم يكن في إخراجها من المخزن إزعاج لك.»

«ليس ثمة إزعاج أبداً، يا آنسة.»

«هل مضى عليك عند آل ماغنوم زمن طويل؟»

«منذ ولد ماتيو يا آنسة. لقد رأيته وهو ينمو لم تكن الحياة سهلة بالنسبة إليه وإلى أختيه، ولا أظن أنه سيكون سهلاً عليهم الآن أن يدفنوا ذلك الماضي، إن لديهم جميعاً طاقات كبرى من الحب للآخرين، ولكن من الصعب جداً

عليهم أن يصدقوا أن الآخرين يبذلونهم الحب. لقد كان الكولونيل يفقد سوزان عندما يدس بسرعة.»

وتساءلت مارغريت عما إذا كان هوك بقوله هذا يريد أن يخبرها بأنها إذا كانت تحب ماتيو فعليها أن تتحلى بالصبر وتتشبث به.

توقفاً عند متجر للقماش حيث اشترت مارغريت قماشاً وأدوات خياطة. وعندما عادت إلى منزل باتريشيا، أوصدت عليها باب غرفتها ثم نشرت القماش على السرير. إن عليها أن تكون حذرة للغاية حيث أنها تخطط دون نموذج ورقي.

تساءلت أين عسى أن يكون ماتيو. تصوره يحمل ابنة أخته وهذه تسند رأسها إلى كتفه بينما هو يقرأ لها الحكاية.

لقد رأت في نظراته لشقيقتيه دفناً وحناناً، ولكن تصرفاته نحوها قد تغيرت حتماً. فأقناعه بأي شيء لن يكون سهلاً.

يقفان مستندين فتساءلت عما سيكون رأيه في الرزي الذي تصنعه للحفلة.

أخذ ماتيو ينظر بسرور إلى اشتراقة وجه مارغريت كلما لبست لشيء يقوله بيت وعندما حول نظراته عنها وجد شقيقته تراقبانه.

سألته سوزان بهدوء: «أناك تحبها، أليس كذلك؟»
«نعم».

فقالت باتريشيا: «بيدي ذلك من نظراتك اليها».
وقالت سوزان: «سأذهب لأري مارغريت المنزل والحديقة بينما يشعل بيت موقد الشواء».

لم يفهم ماتيو النظرة التي تبادلتها شقيقتاه وأخذ وباتريشيا ينظران إلى سوزان ومارغريت وميليسيا آن وهن يدخلن إلى المنزل، سألته باتريشيا: «هل ستتزوج مارغريت؟»

فقال: «ماذا؟»

لم تجفل أخته للهجته العنيفة هذه: «أنا أعلم أنك شقيقنا الأكبر، ولكن هل يمكنك أن تخبرك بشيء؟»

فقال: «تكلمي».

«لم يترك والدنا لنا أمواله فقط، بل ترك أيضاً لكل منا ذكريات لا تحصى».

«هذا صحيح».

«وكما رأيت نفسك منجذباً إلى امرأة، تعود فتتراجع، وأنا أيضاً كذلك، فالزواج يخيفنا لأننا نراه ساحة معركة تترك في أنفسنا جراحاً لا تشفى».

قال بلهجة جافة: «أو ليس هو كذلك؟»

الفصل الثاني عشر

عادت باتريشيا في الساعة الرابعة، وأثناء جلوسها مع مارغريت على الشرفة ترشغان الشاي المثلج، سألتها عن معهد إدواردز وبالحديث عن العمل والأولاد وجدت مارغريت أن قوتها قد تدد.

قالت باتريشيا: «لقد اتصل بي الدكتور إدواردز ليشكرني على تبرعي بجمع المال له، قال أنه لا يريد أن يقوم أحد بشيء في هذا الشأن قبل أن يجد من يستطيع أن يتق به لإدارة الفرع الثاني من المعهد، بدا جاداً للغاية، لقد تعودت أن أرى الناس الذين يعملون معي يسألونني قبل كل شيء عن مقدار ما بإمكانني جمعه وما يستغرق ذلك من وقت».

«الدكتور إدواردز يهتم بالأولاد قبل كل شيء، وهو لا يقرر سوى الأفضل لهم».

كانت اسئلة باتريشيا تعبر عن اهتمام حقيقي بالمعهد، وحدثتها مارغريت عن الأولاد وما يقوم به الدكتور إدواردز لأجلهم.

ذهبتا إلى بيت سوزان في الساعة السادسة، وارتاحت مارغريت بالجلوس مع ميليسيا آن التي أخذت تريها كل ألعابها، بينما كان بيت زوج سوزان يتحدث عن الحياة في الجيش، لم يكن في تصرف أحد منهم ما يبعث الضيق في نفسها، ولكن مارغريت كانت متوترة، كان ماتيو وشقيقتاه

فهزت رأسها: «لقد أثبتت سوزان أن المرأة يحصل من الزواج ما يزرعه فيه، وحياة والدنا الزوجية ليست مقياساً لحياتنا وحيث أنه لا شيء يمكن أن يغير الذكريات القديمة، لهذا من الأفضل أن تبقى مدقونة وتبني فوقها حياة جديدة.» فقال: «الكلام أسهل من العمل.»

«علينا أن نزيل عبء الماضي، يا ماتييو، أن كل إنسان بحاجة إلى أن يكون محبوباً، لقد أوضح لي طبييتي النفسية أن بحث أبي الدائم كان للعثور على من تحبه لذاته. قالت أن علينا أن نعتقد أن الآخر حيناً لثقتنا قبل إنشاء أية علاقة معه، ومن دون هذا الإيمان لا يمكننا أن نعثر على الحظ.»

سألتها: «منذ متى تستشيرين الطب النفسي؟»

«منذ فقدت الرجل الذي أحب.»

فالتفت ماتييو ينظر إلى أخته: «متى حدث هذا؟»

«حوالي الوقت الذي انتقلت أنت فيه إلى إنشواتر.»

عاد بذاكرته إلى ما بعد إقامته في إنشواتر بشهرين حين لاحظ مبلغ ما أصاب أخته من هزال، لقد كانت أخبرته أنه خراز الحديد للرشاقة، وأثناء تلك الزيارة كانت تبدو له مشغولة أكثر من أي وقت آخر.

جلست بقربه وهي تقول: «لقد ساعدتني الطبيبة على أن أرى أشياء كثيرة بوضوح تام، أننا نحن الثلاثة نشترك بنفس نقطة الضعف هذه، وهي رغبتنا في أن نكون مقبولين من الآخرين، وهذا هو السبب في انغماسنا نحن الثلاثة في أعمال الخير، ولكن هذا لا يشكل بديلاً للدفع الدائم، لعلاقة حب مع الشخص المناسب.»

لم يقل ماتييو شيئاً، وبعد برهة عادت هي تقول: «انا وسوزان نريدك أن ترى شيئاً آخر.»

«وما هو؟»

«منذ ثلاثة أشهر، تعرفت إلى أليس منتلي، هل تتذكرها؟»

«نعم.» وكانت هذه ثالث زوجات والده، أم لعلها الرابعة؟ «من الغريب أنني وأليس قد أصبحنا صديقتين، أننا نتناول الغداء معاً مرة في الشهر، لقد أخبرتني بأنها تركت أبي لأنه كان دوماً يحاول فرض رقابة على كل ما نقوم به، من قابلت، من أين اشترت حاجياتها... أشياء صغيرة ما كان ينبغي أن يكون لها أهمية، ورغم أنه كان يظهر نفسه وكأنه زوج مثالي، إلا أنه كما تقول أليس، كان لديه حاجس التحكم في كل شيء وكل شخص في حياته. قالت أن كل معاطف الفراء والمجوهرات في العالم لم تكن تستحق شيئاً مادام هو يعتبرها دمية يحركها المفتاح.»

فقال ماتييو عابساً: «أتريدين أن تقول لي أن أبي هو الذي كان يجعل النساء تهرب منه؟»

فاومأت قائلة: «نعم، تماماً كما جعلنا نهرب منه.»

عندما أخذ ماتييو يساعد صهره في الشواء، أخذ يفكر في ما أخبرته به باتريشيا، كان ذلك أكثر من أن يستقر فيه على رأي في الحال.

بعد العشاء، التفت ماتييو إلى مارغريت قائلاً: «فلنذهب لنمشي.»

نظرت حولها مجفلة، من غير الممكن أن يذهبها حال انتهاء العشاء، فقد كانت باتريشيا تتحدث عن الأزياء

التنكرية مع صبرها، وكانت سوزان تقول لطفلتها بأن لديها خمسة عشر دقيقة قبل أن تذهب إلى النوم.

نهض ماتيو قائلاً: «إن الآخرين لن يفقدونا، انني سأخذ مارغريت لأريها الأتشاء حول البيت، وشكراً للعشاء». فشكرتهم مارغريت بدورها وقد تملكها الإرتباك.

من جانب منزل سوزان، كان هناك عمر يتحدر نحو الشاطئ. وفي منتصف هذا الحمر كانت مقاعد خشبية عليها وسائد.

أخذت مارغريت تحديق في البحر. التفتت ترى أنوار لوس انجلس منتشرة إلى ما لا نهاية، وقالت: «يا له من مكان رائع الجمال».

«نعم، انه كذلك فعلاً». وإذا فوجئت بلمهجة الخشنة، لاذت بالصمت. لقد كانت لاحظت التوتر في صوته وذلك عندما مدحت لسوزان بيتها، ما هو الخطأ في إطرء شيء رائع الجمال؟

قالت وقد تملكها الغضب: «كان من الخطأ أن تحضرني إلى هنا، يا ماتيو».

«ماذا تقصدين؟» وبدأ في صوته الإستياء البالغ. «أشعر وكأنني سمكة أخذت من حوضها الصغير الآمن وألقيت في البحر، فقد أدركت هنا أن لا شيء مشتركاً بيننا، انني أعرف الآن ما هو ذلك الشيء الخفي الذي يفصل بيننا، انه الفرق في نشأتنا وطبقتنا الإجتماعية».

فقال بخشونة: «هذا ليس صحيحاً، بل هو خوفي من انني قد أخيب ظنك، وانني قد لا أكون صالحاً للزواج، وأن السام قد يملكك مني فتتهجريني».

فقالت بغضب: «انك تبقي نكرياتك حية بتغذيتها بمخاوفك هذه. انك تظن كل امرأة تماثل النساء اللاتي تزوجهن والدك، وهو أنه لا يمكن أن تحبك امرأة لذلك، هل ستدع ما حدث لأبيك يسيطر على بقية حياتك؟» فحدق اليها قائلاً: «ماذا تعنين؟»

«إن لديك حلاً لمشاكل كل شخص، فلماذا لا تبحث في النكريات، ولكنني لا أراها يتصرفان مثلك، لقد كنت أخبرتي مرة أن كلاً منا يحبس نفسه في قفص، وأن بدوين قد حررك من قفصك. لقد قام بذلك فعلاً وإنما جزئياً ولم يكمل، فأنت فقط الذي بإمكانك تحرير نفسك، يا ماتيو».

لم يقل شيئاً، وأخذت تحديق في المياه وقد اغرورقت عينها بالدموع، ثم تتابع قائلة: «سهما كان ما تملكه من أموال واملالك، يا ماتيو، فستبقى فقيراً على الدوام إلا إذا فتحت قلبك للحب، وأرجو أن تغلب على مخاوفك، يوماً ما، فتتق يا امرأة إلى حد يجعلك تشاركها في حياتك».

استدارت مارغريت صاعدة الطريق نحو المنزل وشعرت بماتيو خلفها فلم تلتفت إليه. ذلك انها إذا قالت أي شيء الآن فلن تستطيع أن تسيطر بعد ذلك على مشاعرها، وتبعها هو إلى منزل باتريشيا حيث فتح لها الباب ثم عاد أدراجه دون أن ينطق بكلمة.

صعدت مارغريت رأساً إلى غرفتها، إذ شعرت بأن ليس بإمكانها مواجهة احد الآن، أحست وكأنها فقدت لتوها شيئاً يعني لها الكثير، وتملكها السرور لكل ما قالتها، ان على ماتيو أن يواجه ماضيه، ليس عليه إلا أن يفتح قفصه ويحرر نفسه.

أخذ ماتيو يحدق إلى حركة العد وهي تتدافع وذلك من حيث كان يجلس على الصخرة، كانت المياه تلتف وتدور تماثل في ذلك تدفق أفكاره وهي تعيده إلى الماضي، النقط حجراً ألقاه بعيداً بقدر إمكانه في الماء، وسرعان ما ضاع كما تضيع جهوده في تحرير ذاكرته.

أن مارغريت على حق، فإن عليه أن يحرر نفسه، ولكنه لم يكن يعرف كيف، ففي كل مرة يعود فيها إلى البيت، تسحقه الذكريات، بعضها يشبه تلك التي لدى مارغريت من كل ما علق بها من شوائب، والبعض الآخر قد تأصلت جذوره في كيانه إلى حد لم يعد يستطيع معه أن يتخلص منه.

في وقت متأخر من مساء اليوم التالي قرع ماتيو باب منزل باتريشيا، مد أصابعه يوسع من ياقة زيه التنكري، وكان المعطف القرمزي اللون الذي يرتديه يموج خلفه، كما كان الأكليل على رأسه منحرفاً إلى جانب، كان يشعر بأنه غبي حقاً، فهذه الملابس التنكيرية للأطفال فقط.

فتحت له باتريشيا الباب، وبهتت ابتسامتها قليلاً وهي ترى الضيق على وجهه.

«أدخل، انهم جميعاً هنا.»

وخفف عن ماتيو قليلاً منظر صهريته في ملابس وصيف، انه على الأقل لن يتألم وحده، وبعد أن تبادل معه ابتسامة تعاطف، نظر إلى شقيقته، كانت سوزان ترتدي زي خادمة خان ريفية، أما باتريشيا فكانت في زي محامية كانت دافعت لأثبت براءة زوجها وذلك في إحدى مسرحيات شكسبير.

سألهم ماتيو: «أين مارغريت؟»

قالت باتريشيا: «ستحضر مارغريت حالاً، انتظر حتى

ترى الزي الذي صنعتته.»

سمعوا صوت الباب يفتح ثم خطوات مارغريت، ثم وقفت

عند العتبة ونظراتها متجهة إليه.

أخذ ماتيو يحدق بها، كانت ترتدي ثوباً من قماش ناعم شفاف كان يهتف حولها بما يشبه الحلم، وقد انعقد فوق كتفها، بينما انسدل الثوب نحو الأرض بشكل مستقيم، كما أن حذاءها كان مغطى بنفس قماش الثوب.

ذكره لون الثوب الأخضر الرائع بأوراق الشجر في الربيع وعندما تحركت لاحظ القميص الداخلي الطويل الذي ترتديه تحت الشيفون الأخضر، وكان شعرها النيرانى ينسدل على ظهرها، وعلى رأسها أكليل من القوت البري القرمزي اللون كامن بين ورق الشجر الداكنة الخضرة، بادلته ابتسامته، ولكن النظرة الفاترة في عينيها لم تتغير.

اعلنت سوزان قائلة: «إنها العروس تيتانيا، إن مارغريت

ستكون عروس الحفلة الليلة.»

قالت باتريشيا: «تبدين رائعة تماماً.»

وتبعهم ماتيو صامتاً إلى حيث سيارة الليموزين التي ستأخذهم إلى الحفلة، رأى في استقامة قوامها وميل عنقها ثقة بالنفس لم يرها فيها من قبل، وكذلك في طريقة تحركاتها.

شعرت هي برضى بالغ عن نفسها وهي تصعد إلى الليموزين، لقد نسيت كل تعبها في خياطة ثوبها وهي ترى نظرات ماتيو المبهورة إليها، لم تكن تريد أن تتشاجر معه

بعد قليل جاء ماتيو إلى حيث تجلس: «هل تمانعين إذا
أنا جلست معك؟»

«كلا طبعاً.»

وحدثت نفسها بأنها لن تضيع وقتها في التساؤل عما
يدفع ماتيو إلى الجلوس معها بينما بإمكانه أن يكون الآن
بصحبة واحدة من جميلات الحفلة الرائعات، وأدارت وجهها
لتجيب على شيء قاله بيت، محاولة أن تركز ذهنها على ما
يقول، فقد جعل جلوس ماتيو بجانبها قلبها يخفق بعنف
وصوت عالٍ لم تكذ تسمع معه ما يقوله بيت.

كان ماتيو قد راقب مارغريت وهي تجلس إلى الضيوف
ورأى التهذيب الذي كان يكسو ملامحها وهي تتحدث إلى
الرجال منهم، ونظرة (إلزم مكانك) التي كانت ترمقهم بها.
نظر ماتيو حوله، ثم قرر أن هذا يكفي، فأنحنى يهمس
في أذن مارغريت: «أتريدين أن نترك الحفلة الآن؟»

التفت إليه مذهولة: «ألا تظن باتريشيا أن الأمر غريب إذا
نحن تسلنا خارجين؟»

«أنا ستفهم الأمر.»

عندما وقفت بهما السيارة أمام باب منزل باتريشيا،
التفتت ماتيو إلى مارغريت قائلاً: «مارغريت، أريد أن
أتحدث اليك.»

فنظرت إليه وهزت رأسها: «ليس الآن، يا ماتيو، إنني
متعبة جداً.» وكان صوتها حزيناً ولكنه حازم.

سواء تمكنت من إثبات شخصيتها معنوياً، أمام ماتيو أم
لا، فلا شيء يمكن أن يردم الهوة التي تفصل بين عالمة
وعالمها.

بالنسبة إلى الزواج، ولكنها تريد أن تصحح رأيه في النساء.
أخذت مارغريت تتفرج على الجموع في الحفلة بينما
الموسيقى تشف الأذان، ثم جلست مع سوزان وزوجها
وزوجين آخرين إلى إحدى الموائد وهي تتأمل مختلف
الأزياء التنكرية التي كانت تمر من أمامها.

عرفتها باتريشيا إلى سيل من الأشخاص ذاكرة لهم أن
مارغريت تعلم الأولاد المعاقين في معهد، ودهشت إذ أهتم
كثيرون منهم بمعرفة المزيد عن معهد إدواردز. وأخذت
تجيب بصبر على أسئلتهم، جلست مع مخرج أفلام
وموسيقي، ورجل قال لها إن بإمكانه أن يشتري ناطحة
سحاب أمباير ستيت لو أنها عرضت للبيع، كانت عبارات
الإطراء تنهال عليها لجمال ثوبها ووجهها وقوامها،
وأخيراً هربت مارغريت من كل هذه الوجوه الجديدة، قائلة
بأن قدميها تؤلمانها.

لقد تملكها الدهشة وهي تسمع سوزان تقول: «كلما
ذهبتا إلى إحدى هذه المناسبات تقول لأنفسنا، هذه آخر
مرة، ولكن سيكون الأمر صعباً بالنسبة إلى باتريشيا لو أننا
لا نحضر لمساعدتها، فهي تقوم بمعظم العمل، أما بالنسبة
إلى ماتيو، فحضوره إلى الحفلة هو أكثر من عجيب.»

أدهشت هذه الملاحظة مارغريت، فقد كانت تظن ماتيو لا
يظهر ممانعة في حضور حفلة كهذه، «إنه يكره ما يسميه
عيباً فارغاً، قائلاً إن الناس يأتون لمجرد عرض
المجوهرات وآخر الأزياء، ثم يفتابون الآخرين، وبعد
ذلك يعودون إلى بيوتهم وقد ملأهم الاستياء لأنهم رأوا في
الحفلة من لديه أشياء أغلى مما لديهم هم.»

لم تشأ أن تتحدث إليه وهي بهذا المزاج لأنها إن هي فعلت، فقد يصل بها حبها اليأس إلى حد إذلال نفسها له. تردد لحظة ثم قال: «تصبحين على خير، يا مارغريت.» «تصبح على خير، يا ماتيو.» ولكن هذه السيلة لن يكون فيها أي خير.

وكانت رحلة العودة في الصباح التالي، هادئة بشكل غريب، بدا ماتيو مستغرقاً في أفكاره، بينما كانت مارغريت تفكر في ما ستكون عليه حياتها، لا شيء كانت فعلته أو قالته لقي اهتماماً من ماتيو وهكذا كان عليها أن تقر بالهزيمة، وكلما أسرع في التعود على حقيقة أن ليس ثمة مستقبل يجمعهما معاً، كان ذلك أفضل.

كانت الرحلة إلى يوزميت سارة وبدون أحداث، وكانت مارغريت تتمشى في الشارع الذي تحف به الأشجار الحمراء الورق، يومياً، وقد اشتد بها الشوق إلى ماتيو، وكانت تعيد التفكير مرة بعد مرة في كل ما حدث بينهما منذ تعارفا لأول مرة.

ومع أنها كانت قررت أن توطن نفسها على حقيقة أن ماتيو لم يحبها، فإن جزءاً منها رفض الاستسلام، وكانت النظرة السعيدة المنتعشة في عيني العفة ماري قد جعلت مارغريت تشعر بأن الرحلة هذه كانت ناجحة. ولكنها هي كانت تتمنى لو أنها في إنشواثر مع ماتيو.

بدأت رحلة العودة والتي تستغرق أربع ساعات وذلك في السيارة التي كانت استأجرتها مارغريت للرحلة، بدأت

وكأنها دون نهاية، وعندما وقفت السيارة أمام البيت، التفتت مارغريت إلى عمته: «سأعود بعد فترة قصيرة، فأنا أريد أن أرى جينا وابنتها ميكي.»

سألتهما عمهما بدهشة: «الست متعبة؟»

أومأت مارغريت برأسها نفياً: «كلا، وسأعود بعد فترة قصيرة.»

اعجبت جينا جداً بالوشاح الحريري الذي أحضرته لها مارغريت هدية، وظلت تتلمس قماشه الحريري الناعم وهي تقول: «يا لروعته، سأحتفظ به دوماً.»

قالت مارغريت والتي كانت مشغولة بتأمل الطفلة: «إنني مسرورة لأنه أعجبك، كيف حال جاك؟»

بدأت السعادة على جينا: «لقد عاد كل شيء بيننا كما كان، لقد أصرت جانيت على جاك في أن يخبرها عما حدث، فقال أنه منذ أصبح أباً أخذ يشعر بأن عليه أن يزود ابنته بأحسن الأشياء، وهكذا أخذ يشغل ساعات طويلة، فقالت له جانيت إن من الأفضل أن يتحدث إلي عن شعوره هذا.»

«وماذا كانت النتيجة؟»

«ذكرت للكتور ريدي ما قاله جاك فقال أنه يحدث كثيراً أن يشعر بذلك من يصبح أباً لأول مرة، وقد تحدث إلي وإلى جاك قائلاً: «إنه بينما بعض الآباء يتصرفون مثل جاك، هناك إباء آخرون يهتمون لأن ليس بإمكانهم تحمل المسؤولية، قال إن علينا أن نتحدث مع بعضنا البعض كثيراً وإذا احتجنا إلى عون، فعلينا اللجوء إلى مستشار ينصحنا.»

عادت مارغريت تقول: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

«لقد تعبت قليلاً في اقناع جاك بأن ميكي لن تهتم فيما لو لم تكن ملايسها على الطراز الحديث، فالأكثر أهمية بالنسبة إليها أن ترى والدها كثيراً أثناء نموها، وقد وضعنا ميزانية فإذا لم تنجح فسأعود للعمل في المطعم بنصف دوام.»

قالت مارغريت: «أن طريقة تدبر الأمور هي التي تجعل الحياة مختلفة، في الواقع.»

اجابت جينا: «نعم، بالإضافة إلى دوام الغزل بين الزوجين. لقد ذكرت جانبك جاك بأن كلمة أحبك لا تكلف الرجل شيئاً، ومع ذلك بعض الرجال لا يفكرون أبداً بالنطق بهذه الكلمة.»

فابتسمت مارغريت وهي تتذكر مناقشتها مع ماثيو في الحديقة، بهذا الشأن، لا بد أن هذا شيء على كل الرجال أن يتعلموه.

سالتها جينا: «هل لك بتناول العشاء معنا هذه الليلة؟ حيث أن جاك الآن يعمل بين لوس انجلس وإنشواتر، فهو هنا الساعة الخامسة كل مساء، ومنذ رحيل ماثيو لم تعد نرى أحداً، ما عدا تيممي، هذا الفتى يبدو في غاية السعادة هذه الأيام.»

لم تستطع مارغريت إخفاء الذعر في صوتها وهي تسألها: «وهل راحل ماثيو؟»

«آه، أكم يخبرك برحيله؟»

فاشتعل الغضب في نفس مارغريت، هذا إذن ما يقوم به الرجال الأقوياء أمثال ماثيو عندما تتعسر الأمور. انهم يهربون، من السهل عليه جداً أن يحل مشاكل الناس، بينما تستعصي عليه مشاكله هو، حسناً أنها لن تدعه يهرب.

وسألتها: «في أي ساعة يقادر جاك إلى لوس انجلس في الصباح؟» لم تعرف متى تكونت في ذهنها فكرة «الحاق بماتيو لتحديثه عن شعورها، كل ما تعرفه أن هذه الفكرة موجودة وعليها أن تتصرف. لقد كانت مخطئة إذ ظنت أن لا شيء يمكن أن يعبر الهوة بين عالميهما، هي وماتيو، أن الحب يمكن أن يعبر أي هوة إذا ما منح الفرصة.

اجابت جينا: «الساعة السابعة، لماذا؟»

«اخبريه بأنني ذاهبة معه غداً، لا يمكنني البقاء الآن، يا

جينا. أن لدي أشياء ينبغي أن أقوم بها في البيت.»

بعد ذلك بدقائق، كانت تضع على وجهها دقيق الشوفان مخفوقاً فيه أربع بيضات وبعض الخل، ثم وضعت نفس المزيج على شعرها. أنها تريد أن تبدو جميلة وهي تعنف ماتيو، ثم لفت رأسها بمنشفة، لتخرج من خزانة ثيابها كل ما لديها، أنها فتاة قديمة الطراز حقاً، ولكن ليس إلى الحد الذي يجعلها تتقبل قراره هذا باستسلام.

جاء تيممي إلى بابها بعد ذلك بقليل، فألقى نظرة واحدة على ثيابها العكومة على السرير، ثم انسحب بهدوء عائداً إلى غرفته، فهو لا يعتقد أن مارغريت ستقبل بالذهاب معه إلى غاريسون لحضور فيلم هذه الليلة، ذلك أن في ذهنها شيئاً ما. تابع جاك نظرات جينا إلى تلك المرأة التي كانت تقترب منهما، مرتدية طقمأ أبيض وحذاء عالي الكعب، وبدت مارغريت وكأنها خرجت لتوها من غلاف محلة الأزياء التي تحب زوجها قراءتها.

صعد جاك إلى شاحنته، وسمع جينا تقول شيئاً لمارغريت وهي تضحك.

حدق جاك إلى مارغريت وهي تصعد إلى الشاحنة، لم يرها قط من قبل يمثل هذا الجمال، أو الرزانة.

«صباح الخير يا مارغريت.»

«كيف حالك، يا جاك؟ هل لك من فضلك أن تنزلني عند بيت السيد ماغنوم في لوس أنجلوس؟ إن بيني وبينه عملاً لم ينته بعد.»

«نعم، يا سيدتي.»

وقفت جيئاً عند الباب وطلعتها على ذراعها وهي تلوح لهما بيدها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة.

التفتت مارغريت إلى جاك، الآن وبعد أن أصبحا في الطريق، شعرت ببعض شجاعتها تتسرب منها، أترى حظاً ما تيو فكرة جيدة؟

وشعر جاك بتغير مزاج مارغريت من الثقة بالنفس إلى التوتر، فمال إلى الأمام وأدار زر الإذاعة الحطية، قد يرفه عنها بعض الحديث الفكه بين السائقين.

أخذت مارغريت تستمع إلى أصوات ترددها أمواج الأثير، إلى أن سمعت صوتاً مألوفاً لديها يقول: «هنا الذئب الوحيد، متجهاً إلى لوس أنجلوس. هل يعلم أحد ما إذا كانت المدينة ما تزال في مكانها؟»

«هنا الراقص، يا الذئب الوحيد. وأنا أيضاً في طريقي إلى لوس أنجلوس، ماذا تعني بقولك (هل المدينة ما تزال في مكانها) يا زميل؟»

«حسناً، يا الراقص، أنك تعلم أن الجميع يتوقعون زلزالاً سيضرب تلك المدينة الكبيرة، يوماً ما. وسؤالي عما إذا كانت ما تزال هناك ما هو إلا مزحتي الصغيرة.»

أمسك جاك بالسמاعة وقال: «هنا الأب الفخور، يا الذئب الوحيد. لقد كنت أمس في لوس أنجلوس، وهي ما زالت مكانها.»

«كيف حال طفلك يا «الأب الفخور»؟ وكان هذا السؤال من «الذئب الوحيد». وأجاب جاك: «بأحسن حال، وبالمناسبة معي اليوم ضيفة.»

ناولها جاك السماعة، فقالت مترددة: «هنا الوردة الحمراء، صباح الخير للجميع.»

«هنا الذئب الوحيد يا الوردة الحمراء، هل عثرتما على الخليج الصغير بسهولة، في ذلك اليوم؟»

«نعم، شكراً، إنه مكان رائع الجمال.»

«أين رجلك ذاك؟ إذا كان اسمه، بدوين الثاني؟»

فقالت مارغريت: «إنه في لوس أنجلوس.»

سألها: «أنت إذن ذاهبة لزيارته، أليس كذلك؟»

ترددت مارغريت ثم قالت: «ليس تماماً.»

«هنا الراقص يا الوردة الحمراء، هل تكررت لتوك بدوين

الثاني؟»

فأجابت: «نعم.»

«حسناً، لقد سمعته منذ فترة يتحدث إلى سائق آخر اسمه

الدب المرقط.»

حدقت مارغريت إلى جاك، أين يا ترى ماتيو ذاهب؟

أخذ جاك السماعة من يدها وقال: «هل أنت واثق يا

الراقص مما تقول؟ هنا الأب الفخور.»

فجاءه الجواب السريع: «واثق تماماً.»

لا بد أنه ذاهب في تلك الرحلات الطويلة التي يحبها،

وأدركت مارغريت أن ليس بإمكانها أن تتحدث إليه بعد ذلك، إلا إذا فعلت ذلك الآن. والتفتت إلى جاك قائلة: «انتظر يا جاك أن بإمكاننا التحدث إليه الآن بواسطة هذه الإذاعة؟»

فقال: «سأحاول أين أنت يا بدوين الثاني. هيا تكلم، هذا الأب الفخور.»

أخذ جاك يكرر النداء كل خمس دقائق، وبعد المحاولة الثالثة جاءه الجواب: «هنا بدوين الثاني، تكلم يا الأب الفخور.»

ناول جاك مارغريت السماعة، فقال بسرعة وهي تأخذها منه: «ماتيو، أنا مارغريت.»

مرت لحظات من الصمت التام، ثم قال ماتيو: «مارغريت، ما الذي تفعلينه في شاحنة جاك؟»

«أنتي في طريقي إلى لوس أنجلوس لأراك.»

«بماذا، يا مارغريت؟»

ابتلعت ريقها ونظرت إلى السماعة بدع، منذ أمس وهي تتصور مختلف المشاهد تجمعها مع ماتيو في مكتبه، في سيارته، في بيته. ولكنها لم تتصور قط أنها ستجتمع به على أمواج الأثير بهذا الشكل.

عاد ماتيو يسأل: «مارغريت، هل تسمعينني؟»

«نعم، يا ماتيو، كان علي أن أراك. لدي شيء أريد أن أقوله لك على انفراد.»

«وما هو، يا مارغريت؟»

كان صوته يبتعد، وتملك مارغريت الذعر من أن يكون قد أصبح بعيداً عن مدى السماع وبالتالي بعيداً عن حياتها.

وبسرعة وقيل أن تعي تماماً ما ستنتطق به قالت: «ماتيو، هل تتزوجني؟»

اجفل جاك بجائدها، وساد سكوت حاد في الجو، وشعرت مارغريت بوجنتيها تلتهبان عندما لم يجب ماتيو. إذا كان ثمة ما هو أسوأ من أن يجعل الشخص من نفسه أضحوكة في السر، فهو أن يكون ذلك في العلن، ما الذي كان ماتيو قاله عن هذه الإذاعة؟ قال أنه قد يكون هناك مائة شخص يستمعون في وقت واحد؟

أخترق الجو صوت امرأة يقول: «مايبل تنادي عاشق النجوم. هل تسمعني يا عاشق النجوم؟»

«هذا الذئب الوحيد يا مايبل، ابقي بعيدة عن الأثير، يا مايبل، فهنا سيدة تعرض الزواج.»

مر صمت آخر، ثم عادت مايبل تقول: «عرض زواج؟ لا اظننا تعرضه عليك، يا الذئب الوحيد أليس كذلك؟ أنه إذن سبب وجيه للمقاطعة إذ انقذ إحدى بنات جنسي من مصير أسوأ من الموت.» وتبع ذلك ضحكة عالية.

فصرخ الراقص: «هذا يكفي، أي شخص يتحدث في غير دوره، عليه أن ينتظر محاسبة مني في موقف الشاحنات التالي، تابعي كلامك يا الوردة الحمراء.»

غصت مارغريت بريقها ثم قالت: «استمع إلي يا ماتيو. لا يهمني إذا كنت تريد أن تسوق شاحنة، أو تذهب إلى آخر الدنيا، إنني لا أريد سوى أن أمضي معك بقية حياتي، وبأي شكل.»

فسأل الراقص بصوت عالٍ: «وماذا يطلب الرجل أكثر من هذا؟»

قالت مايبل: «أقبل فمك يا الراقص، إذا لم تلتزم بالنظام فعليك أن تقدم لي حساباً عن ذلك في العوقف التالي.»

فقال الذئب الوحيد: «نعم إبقى بعيداً عن هذا، كل واحد يمكنه أن يرى أن هذا الحديث خاص ويتبغي أن يكون على انفراد.»

هز جاك إبهامه من النافذة. ونظرت مارغريت إلى الخارج من نافذتها، ثم غصت بريقها. كانت خلقهما صف طويل من الشاحنات، وكذلك صف آخر مزدحم في الشارع الجانبى، كان الأفراد مستحيلاً، فقد بدا وكأن كل شخص أراد أن يحصل على مقعد في هذا العرض.

سألها ماتيو: «مارغريت، أين تظنيتنى كنت ذاهباً؟»
فأجابت: «ظننتك ذاهباً في إحدى رحلاتك الطويلة.»
«اننى عائد إليك، يا مارغريت، لكي أقوم بمحاولة أخرى لجعلك تستععين لى.»

«أحقاً؟ ولكن لماذا رحلت أولاً؟»

تبخل الراقص قائلاً: «نعم، لماذا رحلت؟»

فتجاهل ماتيو قول الراقص هذا، وتابع يقول: «مارغريت اننى اعرف أن الزواج ليس مجرد رخصة زواج والتي لا تفعل سوى أن تمنح زوجين أساساً بينيان عليه بقية حياتهما، كنت أريد أن أخبرك في ليلة الحقلة بأننى أحبك وأتق بك، وأننى كنت مغفلاً للغاية، ولكنك لم تقبلى بالتحدث لى، وفيما بعد ظننت أنك قد تكونين غيرت رأيك بالنسبة لى، أدركت أن بعض من تعرفت اليهم لم يعجبوك، فظننت أنك ربما قررت أن لا يكون لك صلة بى،

ولكن حالما وصلت إلى لوس انجلس، أدركت اننى سأكون اكبر أحقق في العالم إذا أنا تركتك تذهبين دون أن تعرفى مشاعري نحوك. إذا قيلت بى، فسأحاول جهدي أن أحقق لك كل أحلامك، اننى أحبك يا مارغريت.»

غالبت مارغريت دموعها عندما ارتفعت الهتافات عالية في الإذاعة، قالت مايبل: «كم هذا شاعري.»

قال ماتيو: «جاك، أن الإستراحة القادمة هي على بعد نصف ميل من هنا. قف هناك، فانا خلفك مباشرة.»

وقال الراقص مهدداً: «حذار من أن يقف احد بجانب طيري الحب، تهاني اليكما.»

تشابكت بقية الأصوات بالتهاني، بينما كان جاك يقف عند الإستراحة، ووقف خط طويل من الشاحنات بعيداً وأخذ السائقون يهتفون ويلوحون بأيديهم عندما نزلت مارغريت من الشاحنة، وبعدها بخمس دقائق وصل ماتيو.

قفز من شاحنته فركضت مارغريت إليه: «لا أستطيع أن اصدق اننى عرضت عليك الزواج على أنواج الأثير.»

فقال باسماء: «ولا أنا أستطيع تصديق ذلك يا حبيبتي الرجعية القديمة الطراز. وانا آسف لأننى رحلت عنك وتركتك لكل هذه المعاناة، ولكننى كنت أعلم أنك تستحقين رجلاً أفضل من ذلك الذي لم يستطع أن يحرر نفسه من الماضي.»

«لا اريد اعتذارات، أن صدقك ونزاهتك والشعور مع الآخرين، كل هذا جعلنى أحبك، أن ماضينا هو جزء منا، وطالما يتدخل مع حاضرتنا فأمره يجب أن لا يهمننا.»

«لقد أحبتك دوماً، يا مارغريت، دوماً.»

قالت: «آه، ولكن عند بحيرة ميد...»

فقاطعها: «كنت في غاية الحماسة، كنت أبحث عن نوع من الضمان، فتجارب أبي كانت تخيفني، لقد جعلتني ياتريشيا اعتبر أن نكرياتنا يجب أن تدفن، وإنني بقيت سنوات أعيش مع مفاهيم خاطئة عن الأشياء، وعندما عرفتك يا مارغريت، اقتنعت بأن عليّ أن أدع الماضي لشأنه وأركز على حاضرنأ..»

«إنني مسرورة لذلك، ولكن حتى ولو عاد الماضي إلى ذهنك، فأنا أريد أن أساعدك في مواجهة ذلك..»

فقال: «لنني لن أبعدك عن نفسي أبداً بعد الآن، يا مارغريت، أين تريدان أن نضي شهر عسلنا؟ في أوروبا؟ في الشرق؟ أستراليا؟»

بدأ عليها السهوم لحظة، ثم قالت بركة فائقة: «لا أريد أياً من أولئك الأمكنة، إنني أريد شهر عسل في الشاحنة..»

فهتف مستغرباً: «ماذا؟»

قالت وقد كسا ملامحها مزيج من الحب والخجل: «إنك سمعتني، إنني أريدك لنفسك، لا أريد أناساً حولنا..»

تألفت عينا ماتيو: «لو لم اعد عمك جانيت ببهجة اعداد ترتيبات الزفاف بنفسها، لذهبتنا رأساً إلى لاس فيغاس وتزوجنا هذه الليلة..»

فقالت: «هل كانت عمتي مشتركة بكل هذا، هي أيضاً؟ لا تقلق، فهي ستسرع في إجراء الترتيبات وسترى، هذا إلى إنني أريد أن أرى في عرسنا أولئك الذين نحبهم، تيمي شقيقتك، صهرك بيت والصغيرة ميليسيا آن، جو، جاك وجانيت وكل الآخرين..»

«إن ياتريشيا وسوزان ستساعدان عمك. واعلمي أن قائمة الضيوف تتضمن كل قائد شاحنة سيكون قريباً من إنشواتر في يوم الزفاف..»

وإذ تذكرت مارغريت سيل الهدايا الذي أنهار يوم ولادة ميكي، قالت: «يمكنهم أن يحضروا جميعاً، ولكن دون هدايا، بدلاً من ذلك، أي شخص يريد أن يقدم تبرعاً إلى معهد إدواردز فمرحباً بعمله هذا..»

سألها ماتيو: «هل فكرت أين تريدان أن تعيشي؟»

فأجابت: «حيثما تكون أنت. ولكن عليّ أن أعود إلى واشنطن إلى أن يجد الدكتور إدواردز بديلاً لي، فأنا لا أستطيع أن اتخلي عنه..»

فقال: «هذا طبيعي، يمكننا أن نستاجر شقة هناك وبإمكانني أن أسافر يومياً، عند الحاجة، إلى لوس أنجلوس وإنشواتر، وبعد ذلك أريد أن أجعل من إنشواتر موطننا الدائم، فهو مكان رائع يتربى فيه الأطفال، هذا قرار علينا أن نسنعه معاً، بطبيعة الحال..»

فسألته بذهن غائب: «أي قرار؟»

فقال متردداً: «بالنسبة لإنجاب الأطفال، هل تريدان أطفالاً؟»

«طبعاً، لا أستطيع أن اتعهد بأن أكون امرأة مثالية في غرفة الولادة، ولكنني لا أستطيع أن أتصور حياة دون أولاد..»

«حالما نصل إلى إنشواتر، ستبدأ جاتيت في إجراء ترتيبات الزفاف..»

«حسنأ، فلنعد ونخبر كل شخص بما حدث، هذا إذا كان

لم يسبق لهم معرفة ذلك من سائق آخر. ويهرع الجميع
لمساعدة عمتي جانتيت.»

لقد امتدت امامهما طريق الحياة. كانت مارغريت تعلم انه
سيكون فيه صعود كما سيكون هبوط، ولكن مع وجود عاتيق
بجانبيها، لم تعد خائفة، ابتسمت له وهو يسرع بها نحو
شاحنته، لقد كان استعجالها لبدء حياة زوجية مع حبيبها
الرقيق سائق الشاحنة، كان يماثل استعجاله.

تمت

بلا عنوان

WWW.LiiLAS.COM



سائق الشاحنة الطيب

غيثا كينغزلي

كان لسائق الشاحنة ماثيو ماغنوم تأثير سيء على شقيق مارغريت براونينغ ، فقد كان من النوع الذي يعشق الحرية ما يشكل مثلاً أعلى لكل فتى، وآخر ما كان مارغريت تريده هو أن يضلّ ذهن الغلام بقصص المغامرات عن قيادة شاحنة بثمانية عشر عجلة، فقد كانت هي المسؤولة عن تبني وهي التي تعرف ما هو الأفضل له.

وقوحيء ماثيو ماغنوم بغضب مارغريت لاستخدام شقيقها لعمل صيفي، وتساءل عما يجعلها تكره حرية العمل في الطرقات؟

كيف بإمكان مارغريت أن تعترف بأن هذا الرجل البالغ الوسامة قد ترك في نفسها كل ذلك التأثير؟ ربما حان الوقت لكي تغامر بالحقاق بـماثيو في رحلة تؤدي إلى الحب...